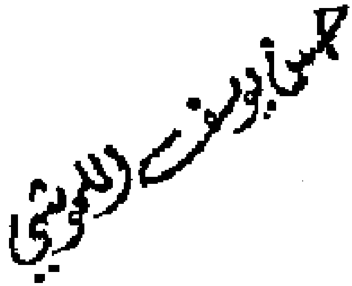
العزفُ بالكلمات

رؤى ودراسات في الإبداع الليبي المعاصر



عذاب الركابي

مجلس الثقافة العام



العزف بالكلمات

إصدارات

مجلس الثقافة العام

العزفُ بالكلمات

رؤى ودراسات في الإبداع الليبي المعاصر

عذاب الركابي

الناشر
مجلس الثقافة العام

اسم الكتاب	العزف بالكلمات (رؤى ودراسات في الإبداع الليبي المعاصر)
اسم المؤلف	عذاب الركابي
سنة النشر	2008 م
رقم الإيداع	384 / 2008 م (دار الكتب الوطنية)
الترقيم الدولي	978 - 9959 - 38 - 854 - 4

تصميم الغلاف	علي العباني
لوحة الغلاف	عادل جريوع
التنفيذ الفني	دار قباء الحديثة - القاهرة

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس - مجمع المؤتمرات - سرت

هاتف 002185468622 - بريد مصور 002185473161

فرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار

هاتف 00218214449894 - بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فرع بنغازي - الفويهات الغربية - الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 - 00218612241578

بريد مصور 0021861224157 6 -- ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني - LCC2_2005@Yahoo.ca

الإهـــــداء

إليهم لأنّهمْ أصدقائي !!

هُمْ مَنْ ألهمني كلماتِ هذا الكتاب ..،

وطالمـــا تعانقنا ، حتّى الدمعِ ، على ضفافِ كلّ حرف وسطرِ فيهِ ..، أردتُ أنْ أدعوهم للاصطياف في حدائق قلبي .. فوجدتُ نفسي أؤرّخُ لنزيفهم ..، وأدافعُ عنهم .. !!

فهوَ كتابُ الوفاءِ للإبداعِ والمبدعين في ليبيا العزيزة ..!!

إليهم .. عشّاقاً .. وأصدقاءَ .. ومبدعين ،

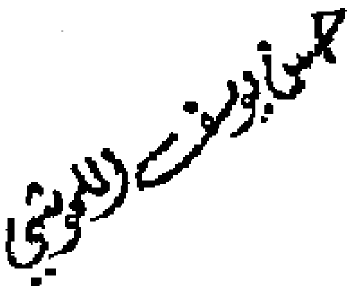
معَ كلّ الحُبّ والاحتراقْ ..!!

عذاب الركابي

أولاً : الشعر

" سيُقدّمُ لنا الشعراءُ بصيصَ نورٍ..
نور بلا حدُود .. "

غاستون باشلار



" فضاءاتُ اليمامةِ العذراء "[1]...

حالةُ عشقٍ بيَن الحُلمِ والواقعِ !!

---

(1) فـضاءات الـيمامة العـذراء، علي الفزاني، شعر، الدار الجماهيرية للنشر طرابلس 1998م.

1- قـــال الشاعر الفرنسي " مالا رميه " عن الحُب، في رسالة إلـــى أحـــد أصـــدقائه في سنة 1865 : " أما من جهتي، فلا يمكنني أنْ أَلْفُظَ هذِه الكلمة بدون ابتسامة .. " !!.

2- وفي " فضاءات اليمامة العذراء " ابتسامة جريحةٌ وفرح مطـــاردٌ وشـــعرٌ نسيجه رائحة الأرض .. وظمأ الرُّوح وإيقاعاتُ المطر.. ودهاليز ليل طويل .. !!

ربَّما لهذا وحدَه رأيتُ (علي الفزاني) يستنجد بدفء الشاعر أراغون، الذي كان عزاؤه (إلزا) وقد انتصر وسلاحه عيـــناها، على (قدرٍ أعمى)، وعزاء الشاعر " الفزاني " هذِه المرأة التي داهمته سرًا، وربَّما ألقى بها الغيب في أحضانه الجدبة، في لحظةٍ كانَ يراوغُ فيها القصيدة، فصارتْ حالة عشقٍ بيْن الحُلــم والواقع.. وبين الحقيقية والخيال، وقد تجاوز بسحرها الكوني زمنًا خانقًا رتيبًا، كادَ يشلّ حركة أصابعه الجسورة :

إيَّاك أنْ تبوحي يا امرأةً

أو فلتبوحي!!

لقَدْ جئتُ إلى فضائك متأخرًا ،
وأنتِ إذْ تلامسين هذا النّشيد
بأصابعك الرقيقةِ ،
وتصغين إلى عزفه المنحوتِ
من خصلات شعرك المتماوجِ
أكون قَدْ سكنْتُ ملكوتك المقْفلَ
إلى الأبدْ..!!
كانت لحظة رائعة عندما قُلتِ
" أمنْ أجلي أنا كلّ هذا !!؟ " ص5

3- " لاحبّ سعيدا .." (أراغون) !!

حين يصبح العشق حالة إنسانية تضيء أغوار الرُّوح المُتْعبة ،تؤدي الكلمات دورها كأجمل، وأعظم ما يكون .. أما إذا كان العاشق شاعرًا، تزداد حالة العشق هذه دفئًا وشفافية، وعمقًا..، تتلوّن بها الأشياء، وتأخذ الحياة منها طعمها واستمراريتها فتكون لكلّ دقيقة فيها معنىً .. وإيقاع .. وعمق :

هُو ذا عالمي الفوضويّ ..فادخلي !!
أيا سحابةً جذلى بلّلت شفتيّ
وأنا أحتضر ..
أدخلي كأحلامِ الشتاء .. كالمطر الخجُول
لا أحدً يسأل النبياتِ العذارى
عن بطاقات السَّفر ص 10

ما كان لهذا الشاعر الفوضوي أن يستسلم بهذه السهولة..!! وبهذه الرقة، وهو يرمي بكل أسلحته الممغنطة بانتفاضات القصيدة، تحت قدمي امرأة، رتبت له جسده، وانقلابات روحه الظامئة، وزحمة أمنياته، وأعطت زمنه المهدور، في بياض الورق، هذا المعنى العميق، والذي لولاها لكان زمنًا فضفاضًا قلقًا، تتناهب دقائقه أيٌّ ريحٍ .. وهو لم يلق تحتَ رأسها وسادة همومه لأنها خلاصةُ، كان يفتح لها، طائعًا، بساتين الروُّح، وإذا ما اغتسلت بهمَه وذاقت فاكهة جسده المنهك، وغفتْ على أنين جُرحه فذلك كلّ مراده .. ومبتغاهُ :

هلْ كُنت تعرفين أنّك منذورةٌ لي

في الغيابْ!!
حين كنتُ أطوّفُ تلك التضاريس البعيدةْ
حين أغوتني النّساء بلغةِ الجذبِ والمعصيةْ
حين توضأت بالرجسِ في معبدٍ للأفاعي
وحينَ أفقت من سكري .. كانَ النزيفُ ضياعًا ،
ثُمَّ أعلنت إليك
رحيلاً يطُولْ ص 10

هُــو عاشقٌ حتى العظمِ!! .. وهي امرأة من حليب اللحظة المنتظــرة، ليــست ككــل النّساء، لها جاذبيتها التي تؤرخ للصباح الــنديّ، وهــو عاشقٌ من الطراز الأول، لا أب له في العشق، وقد حرق كل طرقه التقليدية، ليظلّ المتجدد فيه أبدًا !!

هــي امرأةُ الغيابِ .. والحضورِ .. وهُو شاعرٌ إليه تنسب هذه الأناشيد .. والابتهالات التي لا يكون لها صخبها إلاّ في حضرة امرأة ولدت من رحم العذاب .. والقهر والأحزانِ..!!

4 - وها أنتِ تنشرينَ ضفائركِ

على النافذة،

ويصدحُ خطوكِ في نبضِ الحروفِ

وأنا ولدٌ يشتعلُ

إلى أينَ تفرُّ خصلةٌ حمقاءُ ؟

أما تعبتْ يداكِ ..

من نزق الانسياب !!؟

* * *

امـــرأةٌ– ســحابةٌ .. مرّت بهِ، بلّلت عشبَ الروح بعسل أنوثـــتها، وتـــسلّلت مـــن بين أصابعهِ، في وقتٍ كانَ يغزلُ لها المواعـــيدَ والزوارقَ الملونةَ والقبل الساخنة، وغادرته، وها هو يـــرى أعـــوامه تمر أمام عينيه المتعبتين، منكسة الرأس لتبقى ذكرى امرأةٍ عبثتْ بزمنهِ، ولكنها وهي تنشرُ ضفائرها الذهبية، علـــى نافذة الرّوح، علمتهُ أبجدية العشق .. حتى صار يبْكي .. ويكتب ويشتعل ربما ليعانق كواكب عمرٍ جديد !!

5– " هُنا يلتقي العاشق .. والمطر " ص 18

وتلتقــي الكلمــاتُ المندلقة من روحه بعاصفة من الرقة والدهــشة، فتــسّاقط سماء الشاعر – العاشق مواعيدَ وقصائدَ .. وشــموعًا، يــذهب إلى القصيدة، أو تأتي إليه، فكلاهما يصنعان زمن العشق الذهبي، وبنبرة حزينة تصير القصيدة جلده وثوبه، ويصير لها المُبشر بموكبها الكرنفالي .

إني رسمتك قبلَ انطفائي على جبهات النّساءْ
رسمتُك في المدرات وفي مُفكرة الفصُول
رسمتُك مطرًا أبيضَ عندها كانَ المطرْ
رسمتُك ليلكا على الشرفات فكانَ ربيعَ العُيونْ
رسمتُك قُبلةً على صفحاتِ ذنوبي المُثقلةِ
على وشوشاتِ طلوعِ البذارْ
لا عاشق قبلي ولا لآخر بعدي يلقاكِ بالعرُس البهيج ص 26

والشاعرُ " علي الفزاني " يرسمُ بأصابع مرتعشة جغرافية لعــشق أكبــر، وأعمق وأخلد، وهو يبدع المدهش الرّوحي في

عــذابات هــذا العــشق، فالمعــشوقة هـــي مبدعة هذا الجنون المـــستحيل، وهي تفوقُ في كينونة أصابعها السّاحرةِ مَنْ سبقتها من عاشقات (ليلي، عفراء، عائشة، وحتّى إلزا) وهو ينتحر في انـــتظارها، عشقًا وكتابةً، وربما لأن في طلعتها بريقَ الشموس، ودفـءَ الأمطـــار وزرقةَ وتقلبات البحر .. وهدوءَ الليل أيضا . فأيّ عاشق أسطوري هذا !!؟ وأيُّ معشوقة رابضة في إيقاعها الحزين هذا !!؟

لكِ أسماءٌ كثيرةٌ

في البساتين وفي تضاريس الضجّة الصامتة ،

لك أسماء كثيرة تنز باللذة المنتقاة ،

أحمـــلُ أسمـــاءك كلـــها في جـــراب القلـــب طالعـــةً

كالسنابل ص25

* * *

دخلتِ من نوافذي المهملةْ

ستبوحُ لكِ منكِ ينساب خارجَ الصمتِ..

وحدكِ في ملكوتِ أحلامي .. سجينة ،
ووحدي في يقظةِ العزفِ واقفٌ منذ زمنٍ
بين الجديلةِ والجبينْ ص27

6- كتبَ " فاليري " إلى أحد أصدقائه يقول " الحبُّ يتلاشى "!! وكأني بالصديق الفزاني في (فضاءاته) يريدُ هوَ الآخر أنْ يبوحَ بذلك، لولا حالة العشق التي يعيشها، والتي هي مبررُ وجودهِ وهي فاتحة أيامهِ، بلْ جوهرتها في زمن تتسرب دقائقه من بين أصابعه، رغمًا عنه ..، فهو يؤرّخ ليوميات جُرح ينزف أملاً تاركًا جسدَه ووقته فريسة لهذا العشق :

أيتها التي بكى الليلُ جذلانَ
حينَ استحم بأنفاسِها العازفةْ
أيا خميلة من حوارٍ معتقٍ ،
لا وقتَ للعاشقِ في الحضرةِ الآسرةْ
اعبري معراجكِ على بُسُطٍ من غنائي

إنيّ توضأتُ من جدولٍ في العُيون

وأعلنتُ أسماءك للصّلاةْ ص34

هــذا التشكيل الجميل وتفاعل اللونَ والإيقاع في حضرة حرفٍ، له طعم النار والقرنفل، ... وهذه الغنائية الجارحة لم تَلِدْ مُصادفة، إنما تربتها العشق الصادق الذي حوّل الصور الشعرية المــتلاحقة لديــه علــى شكل دوائر ماء، تسحرُ العينَ، وتربك ضربات القلب :

7 -" عيناك لشدةِ عمقهما، رأيت فيهما

وأنا أنحني لأشربَ

كلَّ الشموسِ تتألقُ،

وكلَّ اليائسين يلقون بأنفسِهم حتَّى الموت "

(أراغون – عيون إلزا)

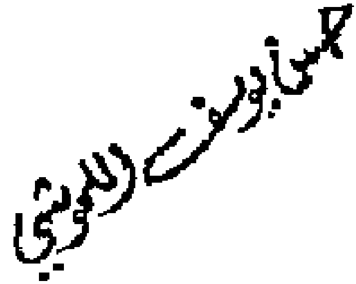
وكــتبَ (بــول إيلوار) يومًا " الشعراء مرّوا في لهب العيون "..،

وفي (فضاءات اليمامةِ العذراء) قولٌ :

هاتان عينان فيهما قيثارتي
من غُربةٍ تستريحْ ،
أيُّ ملاكٍ عبقريٌّ يشكّل من دفءِ العصافير
عشًّا ..
للعاشق الشاعر .. ريثما
تنتهي رحلة الرّوح الجريحْ ص33

هي جدليةُ المرأة – الوجود، والوجود – المرأة، وقد جسدها هذا النسيجُ الشعري الشفاف، وهذهِ الموسيقا الشجية في نسق دراماتيكي عالٍ .. رُبما هيَ مغامرة شعرية جريئة لمْ يسبقْ للشاعر أن أقدم عليها ..ترى هل كانَ يجربُ أشكالا شعرية جديدة !!؟ أم أنَّ الكلمات أرادت ذلك .. !!؟

سأعبثُ بالطقوسِ .. وأعلنُ للمرايا
لا قبلها ولا بعدها ،
يصعدُ نصٌّ إلى سدرةٍ من رؤاي



يسكنُ النبض .. بعد انتهائي ..،

يسكنُ في نواةِ الخلايا ،

أقفلتُ النوافذَ المهُملاتِ

وأعلنتُ بوحي ..لديكِ

ومزّقتُ كتابَ النساء .. وحطّمتُ الهدايا ،

أنتِ معي ..!! أنتِ معي ..!!

أبدًا معي ..!!

وأعلمُ أنّكِ مائدةٌ من الطينِ ،

يمامةٌ.. قدرٌ .. أنها

مسروجةٌ لسوايا ص37

هــذا هــو علي الفزاني في " **فضاءات اليمامة العذراء**" جــسدٌ جريح، مكهرب بالعشق وقريحة صافية مكهربة بهاجس الكتابة ... وأصابع واثقة ترتعش أحيانا تحتَ وابل برد الحروف المتزاحمة .. والملحةِ..!!

علــي الفزاني مُدهش في لغتهِ الشعرية الجميلة .. حين تقرأهُ تشعر أنّك أمامَ نحات، مادته كلمات نسيجُها روحهُ ولحمهُ

وحــرارتهُ وشوقهُ لا يتكلفُها أبدًا ،.. وهي تأتي منسابة، انسياب همــه .. وواثقة وثوق خطوته المتكئة على صباح فتيّ، وحادّة موجعة أحياناً كنظرته لواقع مريرٍ .. مُثيرٌ للأسئلةِ وغارقٍ في التفاصيل الجريحة ..!!

علــي الفزانــي .. تملكهُ الشعرُ .. والعشقُ!! وقدْ عاشَ رهين ضحكات هذين الطفلين الجميلين ..!!

وفاجــأه مــوتٌ شرس .. أرعن، عبثَ بجسدهِ الممتليء بالحــياةِ .. والشعرِ .. والعلاقاتِ الصباحيةِ .. وابتلعَ اللحظاتِ الجميلةَ التي كان الفزاني يحلم أن يعيشها مع القصيدة ..!!

رحل الصديق الشاعر علي الفزاني قبل أن يسمع رأيي، والــذي كــان متشوقا إليه، في آخر دواونيه "فضاءات اليمامة العــذراء " .. تُــرى هل كنتُ مخطئا وقاسيا حين أجلت رأيي وحجبت عنه سماع إيقاع هذا النزف المتواضع ..!! ؟ رُبما ..!! ولكــنّها الكلمــات التي لم تأذن لي إلا هذه اللحظة .. فأغفر لي أيُّها الشاعِرُ الجميل ..!!؟ .

بنغازي 2000 /12/5

" منازلُ الريح [1] " ...

والوقوعُ في حُبّ الكلمات !!

(1) رؤيــة فــي ديوان منازل الريح، مفتاح العمّاري، الدار الجماهيرية للنشر، طرابلس 1996م

" إنّي أعرفُ أنَّ الشّمسَ ستنكسفُ ..

لوْ ترى أعماقَ أرواحِنا الذهبيّة "

مايكوفسكي

1-يمــتازُ نتاجُ الشَّاعر " مفتاح العمّاري " بالبساطةِ والعمقِ معًا، فهوَ يدفعك إلى قراءتهِ والإصغاء إليهِ بكلّ حواسكَ، وهــذا مــا جعلــهُ يتميزُ من بين كمٍّ هائلٍ من الشّعراء الــشباب، وهــو يقتفي أثرَ القصيدة، والقصيدُ تنجذبُ إليه لتسكنَ طائعة أعماق وروحهِ، وتتخلصُ ببراعةٍ من لهاثها المموسقِ عبرَ موجات حُزنه الهادئ، فينتزع لغتهُ المتميّزة انتــزاعًا، يــشبهُ إلى حدٍ ما نحّاتًا. فالكلمات يقبضُ عليها مكتويًا بجمرها، ولا يدعها تفلتُ من شِباكِ رؤاه إلاَّ بصورةٍ شعريةٍ دافئةٍ.. إنَّهُ ببساطةٍ " يقع في حُبِّ الكلمات " حسب تعبير " أحلام مستغانمي ".

إنَّ الــشَّاعر " مفتاح العمّاري " يتمثّل تجاربَ الآخرين ولكــنْ بذكاءٍ وحنكةٍ دونَ أنْ يلوكَ تجربة أحد، بلْ هي تجربته، أعنــي همَّــه، صنعَهُا فيضًا شعريًا جميلاً ممتعًا، وإنَّه يركضُ

بقدمي الرّيح متجاوزًا خمولَ عصرهِ، متورّطًا معَ النَّص، مُحتفلاً بالقصيدةِ المكتوبة على إيقاع قلبهِ.

يُمكننا أنْ نرى، قالَ الفتى :

أبعدَ ممّا يُرى ..

حينَ أشرع قلبَهُ للمدّى

وتنكّب صباحًا .. لمْ يُقلْ

راودتهُ تفّاحةٌ،

فحملَ خطيئتَهُ .. ورَحَلْ

* * *

لمْ يكُنْ قدرًا،

قالت الجميلةُ أنْ نرى

أبعدَ ممَا يُرى ..

وأنْ نلتقي في مكانٍ لمْ

تلجْهُ قصيدة ص12

أليستِ الكتابةُ عزفًا للموسيقا عبرَ الكلمات .. كما قال

"شـــارل جوليـــيه " ؟، فهـــذا العزفُ، وهذهِ البساطةُ هي ثمرة التجـربة الـــصَّادقة، والوعـــي بهمِّه، وأنَّ ورداتِ الضَّوء الَّتي يغرسُـــها الـــشَّاعر " العمّـــاري " هُنا وهُناك هي محصلةُ حُبِّهِ للكلمات أيضًا :

اللّيلةَ تكسّرَ الدهرُ
في فمي،
مَرّةً أخُرى
سقطتْ أسنانُ ريحٍ
وأحلامُ سَفَرٍ
ومفاتيحُ صدئة ،
وصارتْ يدي
طاحونة ذكرى ،
سقطتْ ضحكاتٌ، وكؤوس نخبٍ،
وتكسّرت سنةٌ أخرى ص 19

وهـــذا التكثيفُ هو نتاج ثقافة هادئة، وقراءة عميقة مكنت الـــشاعر " العمّاري " من صياغة همومه صياغةً شفافة موحية، فالمفـــردة الـــشعرية عنده توقظُ، وتدفع إلى التأمّل وتفعل بقارئها ما تفعلهُ قطرة مطر واثقة، بموسيقاها يمكن أنْ تحجزَ المكان الذي يليقُ بها، أو ما تفعلهُ وردةٌ حاصرها ثلجُ عصرها المراوغ، وهي تُريد أنْ تـــزهوَ بلـــونِها، وفراشـــاتها لتعلنَ وجودها .. كذلكَ المفردات عندَ العمّاري فإنها تقول .. إنّني هُنا .. وهذا الموكب الملائكيُّ لي :

يذهبُ في الرّيح
لينتشرَ نعناعًا وقُرنفل،
يذهب في المَطر
ليؤكّدَ أنَّ ما منْ امرأةٍ خضراء
إلاّ وتلقّحت بهِ
فسلامٌ عليه ص 20

2- إنَّ الشَّاعر مفتاح العمّاري يعيش حالة شعريةً مثيرة في

كــلّ فقرة، بلْ في كُلّ مقطع، وهذهِ الحالة مضيئة بأسئلتها ودفقها الشّعري، تأتي لهُ طائعةً، لا يتصيّدها، حتى وإنْ بدا للبعض صاخبًا وهو يحتفلُ بقدومها :

وأنا الشّاب الجائعُ عصفورٌ واجفٌ
على حافةِ مصيدة ،
أسقط بينَ براثن امرأةٍ غامضةٍ
ساقاها أعمدةُ قتالٍ،
وعيناها وميضُ حريقٍ مُقبل ص 23

وتحت سقف القصيدةِ الآمن يتوحّد " العمّاري " بالأشياء، فتصير منهُ، ويصيرُ منها، والكلّ مزهوٌ، مُتفاخرٌ بأجمل تهمةٍ ألا وهــي الكلمات الحُلم، مُضافًا إليها تهمة العشق المسوّر برائحة الخُبز وغضب الأمطار، واحتجاجات الورود :

كلّنا يا أُمّ متهمونَ بالحُلمِ

الزيتونةُ الطيّبة الظلّ،
والولدُ الّذي خذلتهُ العشيرةُ فانكسَرْ.
والرّيحُ،
والمَطَر،
وأنتِ أولُ الخُبَرْ ص 30

وهُــوَ يُــتقنُ تشكيل همّهِ، لكنّ همَّه ينتصُر عليه، حين يُفصّل ويشكّلُ لهُ هذهِ اللّغة الشعرية الدافئة فتأتي على مقاسِ طموحه الشعريّ:

منذُ زمنٍ سحيقٍ يا سيّدي
وأنا أحاولُ أنْ أعيدَ
للموسيقى أنوثتها،
وللمطَرِ أغنياتهِ،
وللوردِ فوضاهُ الحميمة،
وللبغي مفاتيحُ الجنّة

وللمرأةِ الّتي أحبُّ قلبي،
وما لقيصرَ .. للفقراءْ ص 47

* * *

فانظرْ يا معلّمي
ذلكَ الحجرُ الّذي مَرّةً يشبه الجنود
في حالةٍ قتلٍ غامضٍ،
ومَرّةً يُشبهُ الجنود في حالةٍ ركضٍ بعيد
ومَرّةً يُشبهُ قطيعَ خرافٍ،
ومَرّةً هُوَ الحجرُ
لا يُشبهُ إلاّ الحجَرْ ص 48

3- والشّاعر العمّاري يتفوقُ في لغتهِ العميقةِ - البسيطةِ الّتي تتفجّرُ فوقَ أصابعهِ مُدنًا من الحُلم والشفّافية.. رُبَّما يلاحظُ القــاريء تدخلـــهُ وهُــوَ يُضيء الطريق إليها حين تسكنُ الــورق، لكـــنّهُ لا يفــتعلُ، ولا يتكلف هذا، وهوَ بارعٌ في إعطاءِ كلماتهِ حُريةَ المبادرة - حسب تعبير "ما لارميه "..

فكلماتهُ تفعلُ، وتغيّرُ، وتوقظُ دونَ أن تسقطَ في فخّ المُباشرة والتقريرية الَّذي يُبعدُ القصيدة عن كونِها الشعريّ:

ربما أيّتُها الممطرةُ
أقولكِ سرًّا
مخافة أنْ يسمعني الجدارْ
فيُنبئ الرّيحَ
والرّيح تُنبئ الشجرة،
والشجرةُ تُنبئ النَّهر،
والنَّهرُ يُنبئ السَّمك،
والسَّمك يرشو النوارسَ باسمكِ
والنوارسُ تُنبئ الصَّيادين،
الصَّيادوُن يغنونك في اللَّيالي الموحشة،
الليالي الموحشة تُنبئ العسسَ،
فيأتوُن يا حبيبتي
ويخطفونني منكِ ص 52

وبمهـــارة شـــعرية عالـــية يصنعُ لحلمهِ أجنحةً من ذهبِ الكلماتِ، فتصير لقصيدتهِ قوّة جذب يجدها القارئُ ملاذاً، وسكناً واستراحةً من ضجيج زمنٍ بليدٍ :

لماذا
حينَ تعلّقتْ أُذني بأوهامِها
غابتْ أحوال الجَسد،
وانطفأتْ يديّ ص 55

4- وأحـــيانًا نجـــدُ الشّاعر العمّاري يرسمُ، فتتماهى القصيدةُ باللّوحةِ وكلتاهُما تشغلانِ العين والقلب، حين تبدوان كنهرٍ مـــن زئبقٍ وكريستالٍ، وريحان .. وأنهُ لا يبدو غامضًا حتّـــى وهُوَ يُرغمُ الكلماتِ على الرّضوخ لهُ، إنّها طريقتُه الجمـــيلة فـــي صُـــنعٍ زورق الإيحاء والتأمل الذي منحَ قصيدتهُ عُمقًا وديمومةً وجذبًا :

الشَّمسُ على الكرسي كانتْ
حينَ قدمَ الشَّاعر مرفلاً بالنشيدِ،
سحبَ الكرسيَ ليجلسَ
سقطت الشَّمسُ على أرضٍ من قشّ جافٍ
واحترقتْ
حينها ظلَّ الشَّاعر يُغنّي
وظلَّ زيتهُ ينسكبُ

* * *

قريبًا من يدي
تمامًا فوقَ المائدةِ،
تقترحُ الرياحُ
بحرًا هادرًا
وامرأةً هائجة!! ص 72

ولا يـــبدو غامــضًا أيضًا حتَّى وهُو يعودُ إلى الماضي،

يتمــثّل شخوصـــه الأسطوريين، يحاولُ أنْ يرتدي أقنعتهُ الإنسانية ليعـــيش فروســـية أبطالهِ ويبقى هُوَ، ولن يُصبح " الشنفرى " الَّذي يُريدُ، وهُنا يحتاج القارئ إلى قراءةِ الشَّاعر العمّاري بهدوءٍ، وتأنٍ، وصبرٍ، وحميمية، وتلك هي مفاتيحُ قصيدته الجميلة .

لماذا كانَ عليكَ

أنْ تؤنسَ الذئبَ يا شنفرى،

وتُلبسَ الصحراءَ

ثوبَ فجيعتكَ؟

وأنْ تمحوَ في أول الوقتِ،

ظرفَ المكانِ،

وفي أول الأرضِ .. فعلَ الزّمان ؟؟ ص 74

5-إنَّ لغةَ الشاعر مفتاح العمّاري الدافئة لا تبتعدُ عن فوضى جـــراحهِ، وصـــخب همـــومهِ وأحـــزانهِ الَّتي لها تعليقها الجريء، ودويّها الإنساني، وتفاصيل حياتهِ الصَّغيرة الَّتي يلـــونها باحتراقهِ ورمادهِ ودمهِ ..، وتلك ميزة فريدة تدفعُ

القـــارئ إلى الاقتراب من قصيدته، ويقرأها دون ضَجَر أو ملـــلٍ ...، فهي تبني علاقة حميمة مع القارئ، وهذا هُوَ سرُّ التواصل مَعَ هذا الشّاعر الشاب، وقراءته حتًّى الاشتهاء ..!!

1998م

" ما تبقى من سيرةِ الوجدِ[1] " ..

وأبجديات الذاكرةِ الصوفيّة !!

---

(1) ما تبقى من سيرة الوجد ، شعر ، محمد المزوغي.

1- أعتــرفُ بأنّ " بليتي الكبرى الكتابةُ " كما يُعبّرُ الكاتب العظــيمُ (غوركي) لكنّ بليتي الأكبرَ، وجنوني وهوسي اللذيذُ هوَ القراءة، ولأنني لا أخفي انحيازي للشعر أجدني أصــغي بكــلّ جــسدي وأحاسيسي، وأحلامي، وحالات عــشقي، أصغي لفعلِ اللغةِ فيهِ، متعتي وعشقي وجنوني، رُبّمــا لأنّ (روح الــشاعر تــراتيل) كما يقولُ شاعر البحيــرة لامرتين، ورُبما لأنّ الشاعرَ يسهلُ عليهِ " إدماج الكون في كلمةٍ منهُ في جملة " كما يرى غاستون باشلار في كتابهِ " شاعرية أحلام اليقظة " ص163.

ولأنّ الصديق الشاعر محمد المزوغي شغلني بتراتيلهِ وأسفاره الصوفية عبر لغةٍ رشيقةٍ وموجعةٍ في آن .. حملتُ مصباحَ رؤيتي، وأفــردتُ أشرعتي، وجدّفت في بحارِ لغتهِ التي نسيجها وقتهُ، وألمهُ، وحــالات عشقهِ، وتأملاته الروحية، وإشراقات ذهنهِ التي تفضي إلى عوالمَ من التأملِ والجمالِ والمتعةِ.

وأعترفُ أنّهُ أمتعني في لغتهِ الدافئة وحالتهِ الشعرية رُبما لأنّ " التجربة لمْ تنتهِ بعدُ .. ولعلها لا تنتهي أبدًا " كما يقولُ في مقدمة الديوان ..!!

2 – هذا الصوفي الأخير لا يخفي رحلاتهِ وأسفارَه في بحارِ لغـــةٍ هيَ كلّ همّهِ ومبتغاه وأنّها تضيء بقراءاته المتأنية والواعــية للتراث الصوفي ابتداءً من ابن عربي الذي قامَ مـــنذُ ســنوات بتحقــيقِ نـــصوصه – قصائده النثرية – وإشـــراقاته الصوفيّة في " الذي لا يُعولُ عليه " الذي قالَ عــنهُ أدونــيس أنّـــهُ رائدُ قصيدة النثر قبل التسمية وهوَ يتحدثُ عن الصوفيين وتراثهم العظيم ..

وكنتُ أظنُ بأنّ الجموعَ
التي نحوكَ الآنَ تسري بكفيّ
وأني في كونكَ النقطةُ الفاصلةُ
وأنّكَ فيّا
وأنّ القصائدَ كلّ القصائدِ في العشقِ
وحيٌ إليَّ
وكنتُ أظنُ
إلى أنْ رأيتُ الذي لا يُرى

فبكيتُ ضحكتُ عليَّ
تحقّقتُ أنّي كنتُ بعيدًا لأني كنتُ
لأنّي أراني فكيفَ أراكْ ص13

هــذه لغــةُ الشاعر محمد المزوغي وهي تدلُّ عليه، تؤكدُ ذلــكَ مفرداته الصوفيّة ابتداءً من عنوان الديوان " ما تبقى من سـيرة الوجد " وإهدائه (إليهِ منهُ) وعناوين القصائد (إبحار، لأنــي أراني فكيف أراك، استحلفكَ بمجد العشق، ليلٌ يحدّق في وجهي، يا غيب روحي، لا يولدُ أحدٌ منتعلاً، وردة بوح، خروج، وامتداد) على سبيل المثال .. وعودة إلى نصوص ابن عربي، جلال الدين الرومي وفريد الدين العطار نجدُ أنّ أبجديةَ ذاكرتهِ الـصوفية قــدْ تشكلت وقدحَ شررها على القناديل الهادئةِ التي أوقدها أولئك العشاق العظام ..وأنّهُ لا يُخجلهُ أبدا أنْ يخرجَ فتيّا مــن معاطفهم التي تضمُّ أسرارَ الروحِ، وأحلام الجسدِ، ورؤى العشاقِ، وتراتيل الشعراء :

لا أستبيحُ الكأسَ أهدتْ

رشفةً لسواي
أتبعُ ـفي الغرامِ أصولا
إنْ لمْ أجدْ حُسنا
ألوذُ بظلهِ
وأطيلُ ـفي محرابهِ التهليلا
أبحرتُ ـفي ذاتي
وعدتُ بمبهر
يدع الجمالَ – إذا أطلّ –
ذليلا ص10

3 – (مـــا تبقـــى من سيرة الوجد) – لغةٌ تؤرّخُ للألمِ، والعشق الـــصادق، وأنـــين الذاتِ الجريحة، والأحلامِ المُبدّدةِ، والرؤى العـــصيّة، ولا تبـــتعد أبدًا عن لغةِ أولئكَ العشاقِ – الصوفيين الذين تصنعُ دموعهمُ شكلاً آخرَ للكونِ، وتضعُ أحلامُهم تعريفًا آخرَ للحياة، فتجتمع الأزمنةُ في صلاةٍ قبلتها العشقُ، وسجّادتها الروحُ، ويصير الألمُ وطنًا يدفئُ أحلامَهم البسيطة، ذلكَ لأنّ :

" الـــصّحوَ مريـــرٌ " والعشقَ " مُثقلٌ بالوهنِ " يؤكّدُ هذا أروين أدمان في كتابه " الفنون والإنسان " وهوَ يقول: " والكلماتُ التي تسمعها مـــا هـــيَ إ لاَّ إشـــارات لأفعال " ص23 كذلك القصيدة عندَ الشاعر المزوغي همس الروح العاشقةِ المعذبةِ.. وارتعاشه جسد متيّم:

وأرى العالمَ غيرَ العالمِ
أتغلغلُ في سرّ الأشياءِ
فتحيط همومُ الكونِ بكلّي
ينوءُ فؤادي الكهلُ
ببعثِ حروفِ الوجدِ ..
يا هذا الوهج المُفعم بالصّحوِ
أستحلفكَ بمجدِ العشقِ
وسرّ النارِ
وروح الشجرة .. أنْ تغفوَ
فالصّحوُ مريرٌ
وأنا بعد بحزني الآخر .. مُثقلُ بالوهن

4 – الـــشاعر محمـــد المزوغي في حالةِ عشقٍ منغم، ووجدٍ ممغنط بآهات جسد ناحلٍ جريحٍ، .. وأنّ هذهِ الدموع التي تسّاقطُ حزنًا وولهًا معَ كلّ مفردة مندلقةٍ من نهرِ قريحتهِ، في هذا النزيف الجميلِ والضروريّ تدلّكَ على أسرارٍ لمْ تخترقها إلاّ عواصفُ القصيدة .

هـــذا الـــشاعرُ الـــصوفيُّ يجدُ في العشقِ خلاصَه، وفي القـــصيدةِ بوّابتهُ الأخيرة للدخولِ إلى عوالمَ يراها هوَ ويعيشها، ولا نـــراها نحنُ إلاّ إشارات: " آهة، رجفة، رجاء، نشوة، هزّة، إيحاء، نغم " .. كلّ هذهِ المفردات بشحنتها الشعرية هي :

" رؤيـــة مـــا لا يُرى " و" سماع ما لا يُسمعُ " .. ألمْ يقُل ذلـــك الـــشاعر العبقـــريّ – آرثور رامبو حين اختلط الشعر– الجنون بدمهِ، وصار السّفرُ على أجنحةِ الكلمات مبتغاه ؟ :

هـي نبضُ قلبٍ في هـواك ،

وآهـة حيرى ،

ورجفـة خـاطر، ورجـاءُ

هـيَ نشـوةُ الأحـلامِ

يسكبها المدى في مسمعيك
فغنّ يا أشذاءُ ..
حزنٌ خفيٌّ
لستُ أدري كنههُ
شوقٌ غريبٌ، هزّةٌ، إيحاءُ
نغمٌ فريدٌ يستبيحُ سكينتي
منْ أينَ هذا السحر يا أصداءُ ص34

5- محمـــد المزوغـــي - شاعرٌ يُعالجُ بالعشقِ ظمأ الروحِ، وبالـــشعر تـــربةَ الأحلامِ كيْ لا تُصبحَ بورًا، وبالإشراق الصوفيّ وآيات الوجدِ يزرعُ شجرَ الأملِ ويقود بأناملَ نحيلةٍ جيوشَ التأملِ للانتصارِ على لحظاتِ اليأسِ القاتل ..

"ما تبقى من سيرةِ الوجدِ " أعني ما تبقى من سيرتهِ عشقٌ حتّى العظمِ، وشعرٌ حتّى آخر كلمةٍ في بحورِ الكلامِ، وذنبٌ حتّى آخرِ ضفافِ المغفرةِ وتلك هي اليوغا التي يهدفُ من رياضتها تنشيط وتجديد الذاكرة، وهي أيضًا تمارين الصوفيين في تجديدِ نـــبض القلـــبِ، وحـــركةِ الأصابعِ، وعضلاتِ القريحة، وشباب

الروحِ في مدينة التأمل حتى لوْ بدت يوتوبيا مادامت تفضي إلى المــزيدِ مــن الوجد، والإشراق، والشعر، والعشقِ – دمِ وحبر تجربته التي لا تنتهي :

فيا اغترابي ويا همّي .. ويا هممي
ويا جنوني وأمواجي .. وبُركاني
ملامحي لمْ تزلْ
تندى روائحُها
مُنذُ التقيتكِ
في أطيافِ إيماني
ذاكَ اللقاءُ على ألواحهِ اغتسلتْ
روحي .. وطافَ على السارين
عرفاني
ولمْ أزلْ أستقي من وهجهِ
لغتي

وأسرجُ النجمَ
يڤ ليلي وأكواني
وأطلقُ الشوقَ أحلامًا ملونةً
قدْ صغتها من رؤى وجدي
وأحزاني ص58

ومـــن أبجــدياتِ ذاكرةِ الصوفيين العشقُ بل التوحّد في المعــشوق، غياب الأنا لتحلَ في الآخر، وهذا تدلُ عليه مفردات الــذاتِ الجريحةِ، وأنين الروحِ العاشقةِ التي يمتلئ بها الديوان، وتظهــرُ فـــي بـــريقِ وإيقاعِ حرفهِ الفسفوريّ وصخبِ مفردتهِ الهاربةِ من ثكنةِ الآلامِ والجراح الحصينة:

لا تكثري من عتابي
قدْ يوقظُ الجرحُ عتبُ
قاسيتُ يڤ الحُبّ ما لمْ
يقاسِ قبلي .. مُحبُّ

وكمْ تحملتُ صعبًا
حتى تعجبَ صَعبُ
أنا إنْ أُحبُّ
فإني .. بكل كُلّي أُحبُّ ص76

6 – هذهِ اللغة الصوفيّةُ لمْ يتكلفها الشاعرُ المزوغي لأنّها منطادُ حُلمهِ للتوحّد معَ الروحِ، معَ الأرضِ، معَ منْ يُحبُّ، غير مستسلمٍ لليأسِ أو الحزنِ والعزلةِ، وليخرجَ في قصيدتهِ إلى أبعدَ من حدودِ الحُلمِ إلى " الرؤية الكبيرة من رؤى التجربة " كما يعبّر الناقد – أروين أدمان في كتابهِ– الفنون والإنسان ص73 ولنتابع هذا النص الأكثر حُلمًا وشفافيّة :

وكانَ البدءُ
أنْ لمعتْ بروقٌ ..أيقظت روحي
فماتَ الموتُ وانفسحتْ

دروبُ الوحي في بوحي
وقامت تنفضُ النسيانَ
ذاكرتي على لوحي ..
فلمّا لمْ يَعُدْ أملٌ
يُنجيني على لوحٍ
وذاتي لمْ تَعُدْ ذاتي
وروحي لمْ تَعُدْ روحي
وتسبيحي طواهُ الصّمتُ
صارَ الصّمتُ تسبيحي ص96

7- أما عودة الشاعر المزوغي – والتي ليسَت مُفاجئة – إلى رموز العشق، وسادةِ العاشقين " قيس، وجميل، وكُثيّر، والحُميري ، والمرقش، وليلى، وعزّة " هذه العودةُ مقصودة، ومتوقعة، رُبما لأنّهُ يُريد أن يقولَ : إنَّه واحدٌ من هؤلاءِ العشاق، وأنّ العشقَ تربتهُ وملاذهُ الأخير .. دونَ أنْ يُتبرأ من أجواءِ الصوفيين " أليسَتِ المرأةُ تلالاً

بيضاء " كما عبّر أحد الحكماء، فلماذا لا ترتفعُ فوقَ هذهِ التلال شعلةُ التأملِ، والوجد، والاستغراق، والتوحد في كلّ شيءٍ ابتداءً من المرأةِ والأرضِ وحتى الخالق العظيمِ:

كُلّ القصائدِ ..فالهوى أطلالُ
هذا زمانٌ فيهِ تنتكسُ الرؤى
وتثورُ فيهِ على الشخوصِ.. ظلالُ
أشرعتُ نحوَ جزائرِ العشاقِ
كُلّ مراكبي
تحدو بيَ الآمالُ
ورجعتُ تعلو بي وتهبطُ لوحةٌ
هيَ كلّ ما أبقى ليَ التجوالُ
أنا ذلكَ الملاحُ أنهى رحلةً
ودعتهُ للنومِ الطويلِ.. رمالُ
قصَصُ الهوى والشوقُ .. محضُ خرافةٍ

وحكاية الحُبِّ الكبير خيالُ

فديارُ عُذرةَ قدْ تقوّضَ رسمُها

والعاشقون تبدلوا .. واحتالوا

ما عادَ قيسٌ في الهوى بمتيَّمٍ

وعرتْ كُثيّرَ فترةٌ وملالُ

وسلا جميلٌ عن بثينةَ طائعًا

والحميريُّ .. وما السُلوُّ محالُ

وأفاقَ من سكرِ الغرامِ مُرقّشٌ

وتزوجتْ ليلى، وعزّةُ مزقتْ 102

8- " ما تبقى من سيرةِ الوجد " .. سيرة شاعرٍ عاشقٍ حتّى العظــم، مخارجُ حروفهِ، وكلماتهُ، وتفعيلاتهُ الخفيفة تقولُ أكثــرَ مــن ذلــكَ أنّهُ حالمٌ ومتيّمٌ حتّى آخرِ حدودِ الكلمةِ والشوقِ والاحتراقِ والألمْ .

" كوابيسُ اللّيلة الأخيرةِ[1] "...

نبضُ صدقٍ واحتراق !!

(1) كوابيس الليلة الأخيرة، كتبها جيلاني طريبشان في القاهرة، 1977 وبعث بها لي في رسالة من هُناك . وهذه القراءة للقصيدة كانتْ عام 1977 وقَدْ ضاعت من ضمن أوراق كثيرة، ولم أعثر عليها إلاّ بعد رحيله حين كنتُ أعيد قراءة رسائله لي :
ونشرت في (الفجر الجديد) الصّفحة الثقافية – العدد 1483 في 1977/6/4 .

الشّعرُ والشَّاعر موطنانِ ثابتانِ للصَّحوِ العذبِ الذَّي يستخدمُ فـــي أحايـــين كثيرة لطردِ الغيومِ المستفحلة، فمَنْ لا يحترم الشَّعر يخـــتار النَّفْـــيَ.. ويظلُ بعيدًا عن إيقاع الكون، عاجزًا عن تفسير حـــركة الأشياء، وهندسة ألوانها، ومَنْ يجهل اللحظة التي يبدأ منها الشَّاعر بالهجوم والحرب، يظل مشلولاً لا يقاوم حتَّى ظل شيطان، وتفقد تفاصيلُ جسدهِ الهمسَ الكوني اللَّذيذ .

الشَّاعر مخلوق كونيّ، يحاربُ دفاعًا عن الحقيقة والوجود أينما يـــوجدُ المحارب، والقصيدةُ وردةٌ وقذيفة جاهزة للانفجار في مكانٍ يـــتعذّبُ فيه عاشقٌ بريء، أو تفسد طعمةُ ما، من هُنا تبدأ مسؤولية الكتابة عن الشَّاعر، ومتابعة سير خطه الشعريّ في غايةِ الصعوبة ..

و" جيلانـــي طريبـــشان " شاعرٌ موهوبٌ، محترقٌ حتَّى العظـــمِ، مـــتعطش للحُبّ والحياة، واستقامة العالم، تورقُ على أصابعهِ النَّحيلة ورود المحبّة، وينبض في قلبه الخير للإنسانية، يجـــذبك هـــدوؤه ،وتأمله العميق لكلّ ما يحيط بهِ، يبتسمُ حينما يـــرى فـــي الأشياء طيبةً وحنانًا، يضعُ يدّه على قلبهِ خوفًا على ســـعادة الـــنّاسِ لكـــنهُ يغضبُ حينما يشعر أنّه ملغى الصَّوتِ، والنبض، والخطوات :

وأنا رجلٌ مقطوعٌ من شجرةٍ
أخطأني عصري،
يبدو أنّي قدمتُ على مركبِ ريحٍ .
ليلة ميلادي [1]

أحـــياناً كـــانَ يراقصُ كلّ الأشياء لحظة أنْ يكونَ سعيدًا، لكـــنّهُ يحـــتجُ، بدمعةٍ حجريةٍ، وينفلتُ في الشوارع مجنونًا، يبلّل وجهَــه الطفولـــي المطـــر والبرد والحزن حينما يرى أن النّار أخـــذت تقتـــرب مـــن الحدائقِ ...، ويبكي بلوعةٍ لأنَّ العصافير تصادر حناجرها في جانبٍ آخر من العالم، وهكذا هُمُ دائمًا الّذين يقاتلُـــون من أجل الحُريةِ والسَّلام (ينزفوُن من نار، ويحاربوُن مثل الجداول) كما يقولُ بول إيلوار ..!!

و " كوابـــيسُ اللّيلة الأخيرة " قصيدةٌ جديدة، تضافُ إلى ديـــوان الشّعرِ الليبي الحديث، وهي من أكثر قصائد (جيلاني) نُضجًا، وتفوّقًا من الناحية الفنيّة والفكرية، فهي نقطة مضيئة في

(1) من قصيدة (سيّدة الأقمار السَّبعة) للشاعر، الثقافة العربية 1973م .

رحلــته الــشعرية، وهـــي تعكسُ تجربة حياتية صعبة عاشها الشّاعر، بعد أنْ أفرغت شرايينه من الدماء، وملأت دواخله قهرًا وعــذابًا، ثمــرتها هذهِ الرائعة الّتي انفرد بها الشاعر، كصوتٍ شعري مميّز، يكتبُ بأظافره، بل بجسده كلّه :

لا ألحظُ شيئًا في الظُّلمة،
لكن حينَ أعودُ إلى نفسي،
وتعودُ بيّ الذكرى
أراكِ أمامي ،
امرأةً من ورقِ الشَّجر الأخضر،
سمراء، سمراءْ !!

الانكــسارُ والضّياع كلاهما يُظهران جوهرَ الإنسانِ، يقدّمانِ قــراءة لــسطورِ مهملة في دواخلهِ، حينَ تهجمُ سحابةٌ سوداء تؤرّق طــيور الفرح في رأسهِ المُثقل، في تلك اللحظة تولدُ امرأةٌ من حليب الأرضِ وخُــضرةِ الــشَّجر، تظل تحملُ في ثيابها ربيع العُمر، وفي لونِ ضفائرها يسمعُ أغنيات الصَّباحات الجديدة :

وأتمشى
- كالمحكومِ بأصفادِ القتل –
قليلاً أتمشى،
أتمشى وأُغنّي وحدي في اللَّيل،
وأغنّي أحزانًا، وأرنحُ صوتي،
وأراكِ أمامي في المرآةِ

إنها الوحدة التي تترسبُ في أحشائهِ مثل خناجر صدئة تتحرك دونما رحمةٍ، تآكل في روحهِ الحزينة المهمومة كلحظات ليل شتائي قاسٍ، لا يجدُ فيه الشَّاعر إلاّ جدرانًا صفراء، وأضواء باهتة، تأخذهُ إلى عالمٍ كئيب ثقيل هجرتُه بساتين الدّفء، وأدارت لهُ ظهرَها الأنهار، وحيدًا، حزينًا، يصنعُ من ذكرياتهِ سيفًا يقاتلُ فيهِ الوحشة، ولكن ما من سيفٍ قادر على تحقيق النَّصر المؤقت، والخلاص للشاعرِ إلاّ وجهُ تلك المرأة – الصَّباح :

كانَ وجهُ الَّتي عذَبتني
أنقى من الصّبح والذكريات
الأليمة [1]

إنهــا الخلاصُ، والمنقذُ الحقيقي ولكنْ مَنْ هي ؟ يبكي من أجلها، يغضبُ، ويحتجُ معهُ كلّ ما يحيط بهِ، مَنْ هي الَّتي تتّسع بحضورها الكرنفاليّ حدائق المدينة، وشوارعها، هل هي موجــودة فعــلاً هذهِ الَّتي تعيدُ لهُ الشباب، ولروحهِ الظامئةُ الأمان، تؤكّد لهُ إنسانيته، أهي وهمٌ أمْ (حبَ سيَابيّ) يُفضي إلى السأم والملل :

لسّتِ أنت الَّتي بها تحلمُ الرّوح
ولكنّهُ الغرامُ المُضاع [2]

ورُبَّما هي من صُنع أحلامهِ كما يقول :

---

(1) من قصيدة (طقوس ليلية) للشاعر، الأسبوع الثقافي 1977م .
(2) من قصيدة (لقاء ولقاء) من شاكر السيّاب.

امرأةٌ من صُنعِ خيالي
ومن دُنيا الوهمِ الاستعراضي

قَـدْ تكـونُ مجهـولة، أو أنّها كُلّ النّساء، تولدُ من قعرِ وأعمـاق مـياهه، الشعرية، هادئة شفّافة جارحة لها نفس لونهِ وعذابه، كما هي عند " عبدالوهاب البياتي ":

أرى كلَّ نساءِ العالمِ واحدةً
تولدُ من شعري،
أتملكُها، أسكنُ فيها، أعبدُها،
أصرخُ في وجهِ اللّيل
ولكن جناحي يتكسّر
فوقَ الألوانِ المخبوءةِ
في اللّوحاتْ [1]

---

(1) من قصيدة " قمر شيراز " عبدالوهاب البياتي .

وإنَّها سرٌ الرّحلة إلى جُزر أُخرى من العالم حيثُ الدّفء، والمَطَر، والشمّس، والأطفال، والعصافير :

أتذكّرُ صالات الشاي الهندي
وأذكرُ في اللحظات
طرابلس وبيت المقدس،
أتذكّر وجهَكِ أسمرْ، أسمرْ..
مثل سنابك الهمج
التّتر الأوغاد .
كانتْ جوهرة في يدكِ،
تتدلّى تذكارًا
من بغدادْ،
وأعودُ إلى بغدادَ على جنحِ
الطائرةِ السكرى
وأرى مضيفات السَّفر الشقراوات

يبعنَ الحلوى،

وأرى وجهكِ أسمرَ .. أسمرَ!!

وتذكـرنا " كوابــيس الليلة الأخيرة " أيضًا بأجواء وحـــالات سعدي يوسف الشعرية، وتلتقي كثيرًا مع " عبور الوادي الكبير" إحدى القصائد الجميلة في ديوانه " الأخضر بـــن يوسف ومشاغله " باللحظة المحشوة بالغربة، والحيرة، والضّياع والقهر، وعطش واغتراب روحي كبيرين، وخوف لا نهاية لهُ من المجهول :

فلماذا أمامَ الوجوهِ الشريدةِ لا يفتحُ النّاسُ أبوابَهم ؟؟ ...

انتظرتك منذُ ثلاث ليالٍ ..

أتنزل ؟؟

- سيّدتي حينما أنزلُ أقتَل!! [1]

---

(1) من قصيدة (عبور الوادي الكبير) سعدي يوسف .

اللّغـــة الشعرية في " كوابيس الليلة الأخيرة " جيدة .. متميزة، تمثل لحظة تجاوز لدى الشاعر إذا ما عدنا إلى قصائدهِ القديمة .

إنَّهـــا يمكن أن تضمن لهُ عمرًا شعريًا، هي كُلّ قصائده القادمـــة أيـــضًا، كُتـــبَتْ بفنـــيّة عالية، احتوى تفاصيل القصيدة واحـــتوته " فكّـــر خلالهـــا وفكّرت خلاله " بتعبير بودلير، إنها القصيدُ – الاحتراق، لمنْ يحبُّ أنْ يحترقَ بنار الشّعر !!

الشاعرُ " هليل البيجو " ..

العشقُ أولاً !!

" الــشعرُ يكمــلُ جمالَ العالم ...، يجمّلُ العالمَ، وسنحصلُ على إثباتاتٍ جديدةٍ بسماعنا الشعراء .. " – غاستون باشلار – شاعرية أحلام اليقظة – ص171 .

قادتنــــي عــبارة العبقريّ – باشلار إلى قراءة الشعر، لا للــبحثِ عن جمالِ العالم الذي نفتقدهُ كلّ يومٍ، ويضيعُ في خضمِ الــدماء التــي تُــسفكُ كــلّ لحظـــةٍ في مدننا العربيّة ...، وفي أصوات.. وحرائق .. ودخان الانفجارات التي تستهدفُ الأبرياء مــن أهليــنا ...، ولا للــبحثِ عن (إثباتات جديدة) يوحي بها الــشعر ...، ويــسهرُ لأجلها الأنبياء– الشعراء.. إنما أردتُ أنْ أريــحَ القلبَ من أخبار .. ومفارقات .. ومتناقضات عالمنا هذا الذي لمْ يعُدْ لهُ قلبٌ ..!!

الشعرُ استراحةُ القلب !!

واختــرتُ، هــذهِ المــرّة، استراحتي ديوان " قبلة العشّاق"[1] للــصديق الــشاعر المبدع – هليل البيجو .. وأعترفُ أنّ هذا الــشاعر الــذي لمْ أقرأهُ إلاّ من وقتٍ قريبٍ قدْ شغلني ...، وهو

---

(1) قبلة العشاق، شعر، هليل البيجو، منشورات مجلس الثقافة العام، ليبيا 2006م.

شـــاعرٌ فـــي غايةِ الأهميّة ...، يتفوقُ في شاعريتهِ .. ورقتهِ .. وحـــسّهِ المـــرهفِ على العديدِ من الأسماء الشعريّة الغارقة في زحمـــةِ القوافي والتفعيلات التي لا تثير .. ولا تدهشُ .. وهي مجرد بلاغات خاوية .. وتكرار .. وضجر !!

شـــعرُ هلـــيل البـــيجو جديدٌ وجميل وعميق، شديدُ الإيحاء والإثـــارة، والاقتصادِ في اللغة، خفّةُ أوزانه، وتنوع قوافيه، وسعة خياله يرقى بالمفردةِ في قصائده، وتصبحُ اللغة لديه لعبةً ممتعةً..، بـــلْ مغامرة لذيذة .. وهو شاعرٌ يواصلُ تشكيل ذاته داخل نصٍّ، يتشكلُ من تفاصيل الحياة !!

كلّ الذي فيها جميلٌ معجبُ
وإليّ من دونِ النساءِ مُحبّبُ
لا تسألوا وصفًا لها قدْ أفردتْ
حتّى لقدْ عجزَ اللسانُ المعربُ
الشمسُ غارت من محاسنِ وجهها
فإذا رأتها من بعيدٍ تغربُ

هـيَ جنّةٌ تغري النفوسَ بطيبها
لا بلْ ألذّ من الجنانِ وأطيبُ
قدْ أودعَ الرحمنُ فيها نفحةَ
لوْ مسّتِ الأجدابَ عادتْ تخصبُ
هـيَ للجمالِ وللهوى أنشودةٌ
تبقى على مرّ الزمانِ وتعذبُ (تراتيب - ص20).

هــذا الدفقُ الشعريّ .. وهذا الدفءُ الذي تؤسّسُ الكلماتُ لهُ مــدنًا .. وهــذهِ الرقة التي تسطو، في غياب الفراشات، على أنفاس زهــرة حالمة .. كلّ هذا قادني من شريان قلبي، بلْ ألقى حجرًا في مــياه ذاكرتي الراكدة ..، وحرّكَ مفاصلي المعطلة، ليسعفني بعبارة في غاية الأهميّة، ولا تبتعد عمّا أريدُ قوله عن الشاعر هليل البيجو، وهيَ للناقد – أروين أدمان في كتابه القيم (الفنون والإنسان) ..عن جمــالِ وعذوبـــة .. ورقة الشعر وهو يقولُ : " وهناك بعض أبيات مــن شعر شكسبير تعلقُ بالذاكرة، لا لشيء سوى أنّ مقاطعها تذوب فـــي الفمِ في حلاوةٍ وعذوبة" .. وإذا كانت " بعض " أبيات شكسبير "تــذوبُ في الفم " لرقتها، وعذوبتها، وجمالها، .. فأرجو ألاّ أبالغ إذا

قلـــتُ (كـــلّ) أبيات هليل البيجو تمنحُ الفم رائحةً طيبةً، وتتسللُ إلى جـــزر الـــوجدان والـــروحِ لتوقظَ فيها مواسمَ العشق.. والحبّ .. والألفة.. والطفولة .. والحنان !!

سلبتْ فؤادي منْ عليّ يردهُ
أمْ مّنْ يُبلغها بطولِ عنائي
غيداءُ قدْ نطقَ الجمالُ بوجهها
نطقَ الصباحِ ببهجةٍ وضياءِ
جاءتْ تسائلني وكنتُ مرادها
ورنتْ بطرفٍ واثقِ الإغراءِ
قالت أما في الدارِ غيرك ساكنٌ
صبٌّ ويُدعى ناسك الشعراءِ
ثمّ انثنتْ لمْ تنتظرْ لإجابتي
ورديةً خجلاً وفرط حياءِ
فتلفتت تقدُ الغرام بخاطري

وصغتْ تلاعبُ طفلة بإزائي
وتوقفتْ لمّا رأتني ذاهلاً
وتجولتْ بعيونها تلقائي
ومضتْ وما ألقت لصبٍّ بالها
ومضى بأدراجِ الرياحِ ندائي
فحسبتُ نفسي دونها لا أرتضي
بدلاً لها .. ولزمتُ بابَ رجائي (خضوع ص52).

هليل البيجو .. شاعرٌ يشتغلُ على جملة شعريةٍ مثيرة..، فـــي لغةٍ غاية في الرشاقة.. وخيالٍ ليسَ فضفاضًا.. بلْ ساحرٌ مقــنعٌ يوحـــي بالكثير..، شاعرٌ يراهنُ على الكلمة الرقيقة .. الموحية ...، على موعدٍ مع الإثارةِ، في قصيدةٍ تسمو بالخيال " ليسَ إلاّ الخيال " – هذا ما قالهُ ابن عربي، وهذا ما يبديه جسدٌ عاشـــقٌ يتطهرُ ويرقى بالألم الذي يُفضي إلى اللذةِ التي يسعى الشعراء والعشاق جميعًا إليها:

تألّمْ واسعدْ الدنيا تألّمْ
وغضّ الطرفَ عن دهرٍ تجهمْ
وبالآلامِ تزكو كل نفسٍ
وما من عاشقٍ إلاّ تألم
إذا ما كنتَ ذا حسٍّ رقيقٍ
وقلبٍ نابضٍ بالحُبّ مُفعمْ
فقدْ حُملتَ أحزانَ الحياةِ
وكنتَ البوحَ بالجرحِ المكتمْ
فعشْ بالجرحِ مغتبطًا سعيدًا
ومُتْ .. إنْ شئتَ أنْ تحيا وتسلمْ (ألم ص62).

" الشعرُ انفعالٌ يستعيدُ الذهنَ في سكون " .. هذا ما قالهُ شاعرُ الطبـــيعةِ والجمالِ وردزورث..، وآخرون وضعوا الشعرَ في لحظةِ تمـــاهٍ مـــع اللـــوحة ..، لـــيؤرخوا للعلاقة بينَ الشاعرِ والرّسام ..، فالاثنان يرسمانِ بنزيفِ القلبِ لوحاتٍ خالدةٍ عن العشقِ، والدفء، .. فالرسمُ شعرٌ صامتٌ، والشعرُ رسمٌ ناطقٌ. والصديق الشاعر – هليل

البـــيجو في ديوانه " قبلة العشاق " يرسمُ .. يضعُ بينَ أيدينا لوحاتٍ، موقعة بنبضِ القلب، وارتعاشة الجسدِ – الشاعرِ، والعاشق– المتيم :

حبيبتي .. الحُبّ لا عيبٌ ولا عجبُ
كُلّ القلوبِ لأمرِ الحُبّ تضطربُ
فعانقي الشجوَ .. هيمي في مجاهلهِ
ما ذا عليكِ إذا ما مسّكِ النصبُ
ما أجمل العيشَ والأحلامُ تغمرنا
والدهرُ يمنحنا وصلاً ويستلبُ
بينَ الرجاءِ وبينَ اليأسِ تعبرُنا
ساعاتُ خوفٍ.. لها الوجدانُ يلتهبُ
دعي الفؤادَ يبثُ الشوقَ أغنيةً
لا تمنعيه إذا ما هاجهُ الطربُ
ألهمتني الشعرَ والأيامُ تشغلني
لولا هواكِ لضاعَ الشعرُ والأدبُ (أنشودة الحرمان ص73).

الكتابةُ فعلُ اكتشاف .. !!

وهـــيَ لحظةُ حريّة ..، و" الشعرُ أقصى درجاتِ الحريّة" حـــسب تعبيـــر الكاتب والمفكر – جان بول سارتر..، وهو أكثر فنون الكتابةِ قدرةً على الكشف، وسبرِ أغوار النفسِ الإنسانية ..، والـــشاعرُ المؤسّـــس الأول .. بـــلْ واضـــع حجر أساسِ مدن العـــشق.. والدفء .. والأمان .. والنور . وهليل البيجو يبعثُ فـــي مـــدن العشقِ الحياة ..، ويؤرخُ لنزيفِ العشاق..، يباركُ دمـــوعهم اللؤلـــؤية .. ويرقى بسهرهم .. ويتوجُ خطواتهم في مفردة معبّرة .. وجملة شعريّة رقيقة :

قولي لهُم هذا الذي قدْ زارنا
صبٌّ عفيفٌ مرهفُ الإحساسِ
قدْ كانَ يروي الشعرَ فيما بيننَا
عذبًا فيغري بالهوى والكاسِ
يهوى الورودَ .. ولا يُحبُّ قطافها
تكفيه منها عبقةُ الأنفاسِ (عفوًا ص84).

القصيدةُ حلمٌ !!

هـــذا أحدُ الفلاسفةِ العظام يقول : لا أستطيعُ قراءة الشعرَ إلاَّ وأنا أحلمُ !!

وكأنـــي بالـــشاعرِ – هليل البيجو يقولُ لا أستطيعُ كتابة الشعرِ إلاَّ وأنا أحلمُ، ليعيشَ الحياة كحالةٍ شعرية .. وحلمًا تارةً، وتارةً أخرى حالةَ عشق:

والحُبُّ ينقشني في كلّ لامعةٍ
حتّى يكادُ ستارُ الليلِ يشتعلُ
ضاءت بدربكَ أحلامي وقدْ حملتْ
روحًا يهدهدهُ في مهدهِ الغزلُ
ضُمّي إليكِ حنيني وافرشي أفقي
لحنًا تردّدهُ الأنخابُ والقُبلُ (النورس ص119).

يقـــولُ الـــشاعرُ الألمانيّ– يواخيم سارتوريس " القصيدةُ الجـــيدةُ تجـــل " .. وهـــي في ديوان (قبلة العشاق) تجلٍ ..

وتــوهج.. وسمو، آياتهُ العشقُ الصادق، وأداتهُ لغةٌ مقتصدة .. معبـــرة ...، ممغـــنطة بلحظةٍ صوفيةٍ، تجسدها عبارة غاية في الإيحــــاء .. والكـــثافةِ .. والاقتصادِ ...، لا تداهمكَ لأنّها ليسّتْ صــــاخبةً، بلْ توقظُ فيكَ هاجسَ التأمل: (وبعضُ الحزنِ يفقُدكَ الرشادا) ص37 (وبعضُ الأمرِ يفسدهُ التأني) ص 78 و(لربّ جرحٍ بالسلامِ تقنعا) ص87 .

وهــوَ شـــاعرٌ هـــادئ .. حركةُ أصابعهِ رتّبت لعبارته موسيقا خاصة بهِ ...، وقريحتهُ هيأت لهُ فوزًا بكلماتٍ رشيقةٍ .. مثيــرةٍ .. ومنتقاةٍ ...، ولهذا فهوَ لا يُشبهُ أحدًا من معاصريه .. وهوَ سرُّ الانجذاب لهُ وقراءته دونَ مللٍ ..!!

ثانيًا : القصّة القصيرة

" القصّةُ القصيرةُ هيَ سهمٌ في قلبِ الهدفِ "

جابرييل غارثيا ماركيز

رؤية :

" قصّةُ الفرارُ إلى جهنم [1]" ..

ليسَ إلاّ الحُريّة !!

(1) قصّة " الفرار إلى جهنم "، المجموعة القصَصية، القرية القرية "الأرض الأرض وانتحار رائد الفضاء" معمّر القذافي، الدار الجماهيرية للنشر، طرابلس 1993م .

" أريد أنْ أعيشَ بحريتي..... " ألبير كامو

1. " مـــا أقسى البشر عندما يطغون جماعيًا..يالهُ من سيلٍ عـــرمٍ لا يرحمُ منْ أمامهُ ..!! فلا يسمعُ صراخهُ، ولا يمدُّ لهُ يدهُ عـــندما يستجديه وهو يستغيثُ ..، بلْ يدفعهُ أمامهُ في غير اكتراث " قصّة " الفرار إلى جهنم "، المجموعة القصصّية ص63.

إنها حالة ضجر مزمنة، يعيشها الإنسانُ البسيطُ كرغيفِ الخبزِ، والمنيعُ كالصحراء ..الذي أغضبهُ هذا الواقعُ المزخرفُ، وتدّخل بينه وبين نفسهِ: " حاولتم الحيلولة بيني وبين نفسي، ولكن بفـــراري إلـــى جهنم انتزعت نفسي منكم " – القصّة – ص73. ولهـــذا فكّــر فـــي الـــسّفر عبر أجنحةِ الروح التائقة دومًا إلى الحُـــرية.. إلـــى الخلاص.. إلى فضاء جديدٍ.. أيّ فضاء ؟؟ إنّهُ فـــضاء الصحراء حيثُ هدأة الروح.. وصفاءُ البال.. والألفة .. والحميمـــيةُ.. والـــشفافيةُ في العلاقات، بعيدًا عن غبارِ النفعية والفردية والأطماع ..والمطالب بلا حدود!!

2. " كـــمْ أحـــبُّ حريةَ الجموع، وانطلاقها بلا سيّد، وقدْ كـــسّرت أصـــفادها، وزغردتْ، وغنّت بعد التأوّه والعناء .." – القصّة ص63.

الثوّرةُ هي آخرُ الدُّعاء !!

والحــرية أولُ رحمٍ دافئ.. وهُو رحمُ الثوّار..والمفكرين ..والأنبياء ..والعشّاق ..، وهو الرحم الّذي وُلِدَ منهُ القائد..وكان حالمًــا كبيــرًا وهــو لمّــا يزلْ جنينًا في داخلهِ ..يتغذى على حرارته..ويتعلّم من عواصفهِ أيضًا !!

" الفرار إلى جهنّم ".. قصّةُ الحرية.. والخلاصِ الممغنطِ بالأصــالةِ .. ونقــاء الروح .. وهو الطريقُ الّذي لا بديل له.. والكاتب القاص الثائر معمّر القذافي في قصّتهِ يؤرّخ للوفاء لهذا الرحم – الحُريّة!!

هــي ليــستْ رثــاءً محبطًا بلْ كلمات ملائكية في حقّ الجمــوع التــي كانتِ السببَ في انطلاقه وبعدهِ عن الهدوء .. والــسكينةِ .. والوضوح .. والبساطةِ ،إنّما هي عودته للجموع والــسعيُّ والــبحث عــن فضاءٍ جديدٍ لتآلفِ الإنسان مع أخيه الإنسان في صورةٍ كونيةٍ بديعةٍ ..، تعكسُ شكلاً آخر للحياةِ .. وإيقاعًا مُحببًا للوجود والبقاء والديمومة .!!

3. " فــبماذا أطمع أنا البدويّ الفقير، التائه في مدينةٍ عصريةٍ مجنونةٍ، أهلهُا ينهشوني كلّما وجدوني.." القصّة – ص65.

إذنْ هـــي قــصـّةُ الإنسان البدويّ – وهُو الراوي– الّذي أجبــرَ علـــى ارتداء أثوابِ الواقعِ الكثيرةِ الزخارفِ والألوان، مُــضحيًّا بألـــوان الطيفِ، وإيقاعات النسيم..وشاعريةِ المكان، ليعـــيش بمـــواجهة حــراب الخداع.. والمراوغةِ .. والزيفِ.. والكذبِ على وردةِ الألفة والتواد والمحبّة..!!

" الفــرار إلـــى جهنّم " ـ قصّة الفرح، على غير العادة، حـــيثُ تطـــلُ الصحراءُ مثلَ امرأةٍ جميلةٍ، تذوبُ في عاشقِها، بلْ يـــذوبان معًـــا حنيـــنًا وعناقًا، بعيدًا عن ميلشياتِ الحزنِ والنفاقِ والـــتلوّن التـــي تزخرُ بها المدينة .. " مَنْ يسمع مليون كلمة من مليون فمٍ في وقتٍ واحدٍ؟؟ مَنْ في هذا الطغيان الشامل يتفاهم مع مَنْ؟؟ومَنْ يلومُ مَنْ ؟؟ومَنْ المنْ ذاته..." – القصّة– ص 64.

قصّةُ الرحلةِ الاضطرارية إلى "يوتوبيا" المدينة الفاضلة.. إلى الصّحراء أُمّ الكون، وليستْ جَهنّم أبدًا..الصحراء ـ سرت، سبها، هون...،عسلُ تفكير الإنسان الحالم الّذي لا يعرفُ اليأسَ والـــسوداويةَ والحـــزنَ ..، والثائرُ الّذي لا ينامُ إلا على وسادة الفجـــر..، وهُو ليسَ قانطًا ولا متشائمًا بلْ ممتلئًا بحيوية النّخلِ وصبرهِ، وبأسبابِ الحياةِ... والوجودِ.. والخلودِ معًا !!

وهـــي قـــصّة – الإنسان الحالم " الحالمونَ الكبارُ همُ

معلمُــو الحسِّ الإنساني "، غاستون باشلار، شاعرية أحلام اليقظة ص132.

وهــذا الحالم الكبير صانعُ التّاريخ..وعابرٌ إلى عالمٍ أكثر رحابةً.. وصدقًا .. ووضوحًا.. ونقاءً، " أنا الوحيد الّذي لا أملك شيئًا "، القصّة ص67.

هي قصّة " الحلم المصهور بالواقع "، حسب تعبير ميلان كونديرا في كتابه، فنّ الرواية ص22.

3. "فــبماذا أطمــع أنــا الــبدويّ الفقير التائه في مدينة عصرية مجنونة .. بدويٌّ فقير تائهٌ .. لا يحملُ شهادةَ الميلادِ، وعصاهُ على كتفيه.. "– القصّة ص65.

الــصورة ليسَت كاريكاتيريةً، بلْ شديدةُ الواقعية..وإذا ما بــدتْ ســاخرةً لأنّها تعبيرٌ عن السّخطِ والغضبِ ..وهما كتاب رفــض هــذا البدوي "الراوي" نبيّ النقاء والطيبة والصّدق ..، الكاره أبدًا للزخرفة.. والشكلية.. والرتابة التي أصبحت عنوان واقعــنا .. وموضــة حياتنا وإكسسوار حياتنا ،هذا البدويّ إلهُ المعذّبــين في هذا الواقع الّذي مَنَّ عليه بتذوقِ فاكهة الضّياع .. وقدْ فاتتها المواسمُ !!

حلمـــهُ الّـــذي أحبّهُ،حين صار حقيقةً هو الخلاص، ليسَ هــروبًا أو عجزًا أبدًا، بلْ يراهُ العودة الطبيعية إلى الجذور، إلى رحــمِ الأصـــالة، والصّدق، والبساطة، والعفوية، ذلك هو كتاب الروح المقدّس الّذي يرتّلهُ البدوي، في واقعٍ صدئٍ، محاطٍ بصلبانِ النفعــيةِ، والفرديةِ، والظلمِ، والجشعِ، والقهرِ بلا حدود: " أنا بدويٌّ أمـــيٌّ لا أعرفُ حتّى صنعةَ الزواق "– القصّة– ص66، لا يعرف الكذب، ولا الخداع، لم يتنكّر لصحرائهِ، وحليب وتمر بيئته، يفخر بأصالتهِ، وهو منتمٍ إلى جذوره، متيّمُ بماضيه الجميل حتّى الموت: " بــدويٌّ يـــبحثُ عـــن ناقة في ميدان الشهداء، وفرس في السّاحة الخضراء، ويحوش الغنم من ميدان الشجرة "– ص66.

إنّــــهُ قـــاصٌ بامتيازٍ كبيرٍ، متنفسهُ وأداته جملة قصصيّة مثيرة .. ومفردة مُستفزة ساخطة لا يحبّذُ البذاءة والتوبيخ لأنهما لـــيسَ من أخلاقِ البدويّ، إنّما يركنُ إلى ما يسمّيه هنري ميللر "جرأة القلم "و"جسارة الذاكرة".

4. " فأنـــا سرقتُ عصا موسى ..وضربتُ بها الصحراء فانفجرَ النبع " – ص67.

هي قصّة – الحرية التي لا تستعبدها أو تسجنها المصالح الشخصية والمنافع .. " أريدُ أنْ أشعرَ بحريتي " – ألبير كامو..

حرٌّ على طريقتهِ التي تمرُّ دائمًا بنهر الكرامة و تتزوّد من بحر الشموخ، وثوريّ على طريقتهِ التي تتزوّد من دمِ السيول، ونبض البراكين، دون الحاجة إلى ديالكتيك أو منظّرين، ولا تُغريه أيديولوجيات النفوذ والسيطرة والتعالي على الناس .. الفكرة الوحيدة التي تؤرّقهُ هي الصّحراء : " إنسان بسيطٌ.. وفقير لستُ من سلالةٍ ملكية، بلْ من سُلالة بدوية "– القصة ص68.

بدويّ بسيط "حسّاس جدًّا " لا تعنيه أمريكا ولا مَنْ اكتشفها، هو ابن الصحراء "سرت" الشّامخة..، وهنري ميللر من الحي الرابع عشر – بروكلين " إنّ بقية الولايات المتّحدة لا وجود لها بالنسبة لي " كما يقول في كتابه ربيع أسود: " الاثنان لا تعنيهما أمريكا وعالمها المزخرف الجديد، ولقاؤهما فكري وحضاري وإنسانيّ محض ".

5.قصّة " الفرار إلى جهنّم " ..قصّة الثواب و ليسَ الحساب أو العقاب .. العودة إلى الصحراء .. والبداوة بعيدًا عن إكسسوارات الواقع الزائف .. وفوضى النظام العالمي الجديد الذي حذرَ منهُ مفكّرو الغرب قاطبةً .. من ألدوس هكسلي وجورج أورويل وحتّى كولن ويلسن وغارودي ..!!

هي قصّة العودة والاصطياف في غاباتِ الروح

المشمـــسة، وقراءتها شجرةً شجرةً، وورقةً ورقةً، وجذرًا جذرًا للوصولِ إلى السكينة والسلام :

" ذبْــتُ فـــي نفـــسي، ونفسي ذابتْ فيّ، واحتمي كلٌّ منّا بالآخر، وعانق كلٌّ منّا الثاني، وأصبحْنا شيئًا واحدًا لأول مرّة.." القـــصّة ص72،قصّة العودة إلى الجوهرِ، الجوهر الإنسانيّ .. ذهـــب الـــروح ومعدن النقاء والوفاء والتأمل، والحلم، والشعر، والعشق الممغنط بنسائم الحرية : "لذا قرّرت أنْ أفرّ بنفسي إلى جهنّم " – القصّة ص 69.

6. " الفـــرار إلـــى جهنّم " .. قصّة الموت في الحياة ..، والحـــياة في الموت ..، الحياة الجديدة المحصّنة ضدّ الذبول .. والكسل .. والضّعف.. والترهل..!!

قـــصّةُ تـــشكيل الـــرّوح، وإبداعها على إيقاع الأمل،بلْ إشـــباعها بفيتامـــين الحـــياة، والـــبقاء، والخلود الذي يقيها من السقوط، والعجز، والتشوّه، والقُبح : " تمكنتُ من المنام والراحة في قلبِ جهنّم " و" أنتم تطاردونّني، وتحرمونني من الراحة مع نفسي "، القصة ص70.

" الفرار إلى جهنّم " قصّة ضدّ القبح، وهي ابتهال للجمال

الــذي ينبغي أنْ يحكم حياتنا، حتّى ولو كان "بداية الرّعب" كما يعبّر الشاعر ريلكه..!!

وهــي ضـــدّ الرتابةِ .. والتشويه .. قصّة اللّذة التي تقي الــرّوح فيــروس الــيأس والملل : "في اللّذةِ يشعرُ كياننا كلهُ بوجوده " ـ أندريه جيد ـ قوت الأرض ص 203.

7. " إنّ الطــريق إلى جهنّم مفروشة بالبساطِ الطبيعي على امتداد الأفق، وأنا أشقّ طريقي نحوها بفرحٍ وغبطة، وبعد انحسار البساط وجدتها مفروشة بالرمل الناعم "، القصّة ص 71.

قــصّة – الــبطولة المتمثلة بالإنسان الذي كانَ يقْلقهُ أنينُ الأرض .. يتوسّدُ دعاءها السّاخن ..، وتغضبهُ خطوات الغازي المتعجــرف..، الإنــسان الّذي منحَ أرضَهُ وتربتَهُ دمَهُ وعرقَهُ، حتّـــى ينــبتَ الزيتون والقمح، ويبتهج الإنسان فوقها بحريّة .. واعتزاز .. وشموخ على خُطى المجاهدين المضيئة:

" عمـــر المختار وسعدون وعبد السّلام أبو منيار ..الّذين استشهدوا جنودًا مجهولين "، القصّة ص 74.

قــصّة الخلود على مدى التّاريخ الّذي لا يعلنُ نهايتهُ كما أراد " فوكوياما ".

بــلْ بدايته الصّحيحة والمشرّفة التي لا يصنعها المرضى بالتسلّطِ والحكم ..والطغيان بلْ الأحرار الخاشعون في صلاتهم للأرضِ.. ،

الصّلاة التي لا تكون قضاءً !!

" اللعبةُ " ..

والقصّةُ - القصيدة !!

1. القصّةُ حالةُ كشفٍ .. !!

وأنّ القاصَ الجيدَ هوَ مُستكشفٌ بارعٌ للوجود ...، وبلحظةٍ تجلٍّ تصبحُ القصّةُ (تأملاً شاعريًّا للوجود) – كما يُعبّرُ ميلان كونديرا !!

والقـــاص – سالم العبّار لمْ يذهب برحلةٍ إلى (وادي عبقـــر) ليـــستعيرَ الإيحاءات الشعرية، والعبارات، والكلمات الموحية التي تميّزُ قصّصهُ، وتكهربُ أسلوبه الشيق، إنّما هيَ ثقافـــته التـــي منحتهُ مخزونًا كبيرًا من المفردات الموحية – الشعرية المموسقة أحيانًا، والتي تشعركَ بأنّ الكلمات طائعةٌ لهُ لحظة التجلّي والكتابة، وإنْ بدا كباقي المبدعين في صراعٍ معها، وهيّ مملكتهُ وحده، وهذا ما يجعلُ أداته ساحرةً، ولغتهُ جذّابةً، وهمَّهُ مقنعًا إلى أبعد حد، .. لتصيرَ القصّة لديه حالةً شعريةً شفافةً وراقية .. !!

وســـالم العبّار جعلَ من التنوعِ various سمةً من سماتِ أسلوبهِ الذي تفردَ بهِ، وأصبحَ لهُ صوتُهُ، ولغتهُ المُميزة، وسطَ كمٍّ من القصّاصين والمبدعين .. !!

حينَ قرأتُ مجموعتهُ القصّصية " اللعبة " [1] تصورتُ نفسي أقــرأُ لقــاصٍ، فــوجدتُ أنّني كلما توغلتٌ وسافرتُ معَ مفرداتها، وأجوائها، وأحداثها، وأبطالها، أقرأُ لأستاذ في القصّة .. !!

2. ليــسَتْ مــصادفةً أبدًا أنْ يبدأَ القاصُ – سالم العبّار مجموعتهُ بقصّةٍ غاية في الشفّافيةِ والحكمةِ، فللقصّة حكمتُها كما يرى – ميلان كونديرا في كتابهِ الرائع " فن الرواية " .. وهذه القــصّة رُبّما تبدو للبعض عادية، لكنها ليسَتْ كذلكَ، هيَ ليسَتْ حكاية الجمل الذي فاجأهُ الوهنُ والكبرُ والمرضُ والهلاك، إنما هــيَ قــصّة الأرض، حكايــة المكان (أول الولادة) – بتعبير غاســتون باشـــلار، وهـــو بداية النضج، عسل الوجود، وإكسير الحرية المفقود، .. الذي أفردَ له (باشلار) كتابًا هامًا وهو " جمالــيات المكـــان " لما لهُ من أهميةٍ وتقديسٍ، .. ويأتي سالم العبّار ليضيفَ إلى صلواتنا صلاةً أخرى لا تقلّ خشوعًا ورهبةَ، وهــيَ الصلاة إلى الأرضِ– صلاة المكان .. وبصفاء القريحة، وتفــوق الأداة، وثقــة الأصابع، تبدو كلوحاتٍ تشكيليةٍ فيها من المتعةِ واللذةِ الكثير "في اللذةِ يشعرُ كياننا كلّهُ بالوجود "، أندريه جيد، قوت الأرض ص 203 .

---

(1) اللعبة،قصّص قصيرة، سالم العبّار، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع2004 ليبيا.

و(عــين الجمل) هيّ قصّة – تشكيلية !! " وفي ذلكَ الفجرِ حينَ جرجرت الإبل جثتها إلى المجهول تخلف عن الركب .. وقفَ يتأملها وهيّ تختفي وراء الروابي الباهتة " ص9 .

" لمْ يعُدْ ينقصهُ شيء ولا ينغص حياته إلاّ الحنين إلى تلك الروابي التي شهدت سنين فحولته وعزه ومجده "، ص11 .

في قصّة (اللعبة) براءةٌ تشتعلُ .. وعلى ضوئها تُنسجُ أحــلامٌ فتــيةٌ، فـــي ســـريرِ الحياة الربيعي المهدّد بزوابع من الكوابــيس الثقــيلة، .. الأطفال – المرادف للبراءة، وفكرة بناء البــيت واللعــب أحلام، والشمس والبحر مكونات الحياة الآمنة وحقل الغبطة والابتهاج . والسجن، والشرطي، والرئيس، وفكرة المــوت قــدْ أربكوا البراءة، وأفسدوا اللعبة " في السجنِ، أسقطَ الــرئيس خــيطَ الكهرباء على قطعة من حديد وأجلسها عليها، وتركهما يشتعلان، آمرًا الشرطيّ بالانصراف، رجعا والشرطيّ يغمغمُ، لا .. لا نريدُ هذهِ اللعبة " ص19 .

فـــي قصّةِ " أنثى الماء " نزيف شعريّ ساحر ..!! يؤرخُ للحظةِ عشقٍ– ثمرة قريحةِ مُعذبةٍ، هيّ نافذة لحياةٍ أيّامها تنسجها أصابعُ الورد والمطر . الشعرية في هذهِ القصّة لها قدسيتها كما العــشق، الــذي يــرى سالم العبّار بدونه يصدأُ المكان، ويذهبُ

الـــناس، وتجـــفُّ الدموع . . ولكنّ العشقَ يبقى، و" أنثى الماء " تقـــولُ أيـــضًا أنّ العـــشقَ باقٍ كالشعر، وساحر وآخاذ ومقدسٌ كالحياة، وفرضٌ كالصلاة .

الـــشعرية فـــي أسلوب العبّار القصصي ليسَت الأولى في تجاربـــهِ القصّصية .. وهيّ إيعاز روحي، وإيحاء جواني أكثر منهُ تجـــريدي abstract. " وآنَ للقبيلةِ أنْ تداري سوءة عاشقةٍ في نارٍ هيَ سرّ السيولة، وفي ماءٍ هوَ سرُّ الحجر "ص 24.

في قصّةِ (الجليد يشتعل) المرأةُ هيَ هاجسُ المكان!! .. والسبب في دورةِ الزمان، فالمكان يتسعُ بوجودها، ويقيمُ كرنفالاً لسحرها الأنثويّ، والزمان يشهدُ أنّ أصلَ الأشياء أنثى .. وكأنّ القاص (العبّار) يراهنُ على أنّ العشقَ هوَ الحرية.. والحياة .. والخـــلاص، والمـــرأة هيَ الجليد تارةً، والنار تارةً أخرى، ومنْ يتوضـــأ بـــضحكةِ أنثـــى يعرفُ كم هوَ لذيذٌ الوضوء بالنار .. ومابـــينَ الجلـــيدِ والنار امرأة هيَ أختَ الذاكرة .. والوجدان .. والجـــسد " كانَ صدرها في تلكَ اللحظة كجبلينِ من ثلجٍ يفسرانِ المـــاء بالنار " ص27 " امرأةٌ وصبيٌ أوْ جمرةُ نارٍ تجاورُ جبلاً مـــن جلـــيد، الجلـــيدُ ينصهرُ ويندلقُ فيُلهبُ الشارع وإذْ بالمارة يـــستحمون في بحرٍ من نارٍ فجرتهُ امرأة باردة بماء النار "ص28 "

لحظـــة التجمد هذه تجعلُ امرأةً تحتَ لسعِ البردِ تشتعلُ " ص 28 " والمـــرأة خلعتْ ثوبَ الأمومة وبدأت تتعرى من ثيابها وتقفُ على شاطئ اللذة " ص28 .

" وقتٌ مستقطعٌ " .. قصّةٌ سريالية، منحها كونها الشعريُّ ألقًا مُحببًا، نقطة الجذبِ فيها لُغتها التشكيلية، تقرأها فتراها لوحةً مليـــئة بالإيحاءات، ذكرتني بالزمنِ المستقطع الذي شغلَ الرسام الـــسريالي – ســـلفادور دالي فترةً طويلة (كُنتُ أرسمُ وأنا في رحمٍ أمي) .. وما زالت لوحاته تملأ الدنيا، وتشغل الناس، وهيَ تـــتأرجحُ بينَ زمنين، يتباريان في الدفـــء والجمال، زمن الشعر وزمـــن اللـــوحة، بـــينَ كيمياء اللونِ وفيزياء الكلمة .. " وقت المـــستقطع " قـــصّة اللاوقـــت .. واللاكـــلام!! " الكيسان بدءا يـــتململان، كلّ واحد يدفعُ الآخر في الاتجاه المعاكس، كلّ واحدٍ يـــريدُ أنْ يتكئ على الآخر ويستريح، استمرَ بينهما الدفع حتى سقطَ أحدهما على الآخر وتبعثرَ المحصول " ص39 .

وقصّة " لحظة بلحظة " .. هيَ القصّة – الحلم dream story تـــتفوقُ بكـــونها الشعريّ، وإذا كانَ لا بدّ للشعرِ من أن يجعـــلَ الفوضـــى نظامًا، فلابدّ للقلبِ أنْ يحكمَ .. لا بُدّ للعشقِ من وضـــوء، ولا بدّ للمرأة أن ترتّبَ سُرَرَ الحياة، وأن تكونَ الوجودَ،

والكيــنونة، والحــرية وهيَ " الجحيمُ العذب " كما صورّها شاعر الحداثـــة الفرنـــسيّ – آرثور رامبو، تدعوها لحقل يديك، تسلمْ من نمــيمةِ الفراشـــات اللاتي يلازمن ظلها اللازورديّ .. " توقفَ كلّ شيء، وعبرت امرأةٌ الطريق .. " !!

في " عائشة والجدار " .. تصيرُ اللعبةُ لعبةَ الزمن، فتارةً يحكمُ الزمنُ خطواتنا .. وأعمارنا .. وأحلامنا، وتارةً يصيرُ لا شـــيء، .. لا زمـــن، حـــينَ نطلقُ ضحكتنا الساخرةَ من دقائقه الـــرتيبةِ الخانقـــة، في لحظةٍ تتفوقُ فيها أحلامنا، وتقيمُ كرنفالَ ولادتهـــا التاريخيّ، حينَ نلغي الزمنَ في لحظةِ عشقٍ وطفولةٍ، وبهجـــةٍ، ويعودُ الكبارُ صغارًا، وتصيرُ اللعبةُ لعبة الكبار الذينَ ظلـــوا صغارًا في أحلامهم .. " عائشة " هي الزمنُ المُتآكلُ ..، والجـــدارُ هـــوَ الهموم، والأحلام وحدها التي تُصيّرنا كبارًا – صغارًا ..!! " الفرصةُ مُهيأة لأنْ يلعبَ الأطفالُ ولكن مَنْ يضمن لنا نحنُ الكبار ألاّ نعود صغارًا " ص 56 .

في قصّص " أقمار وأسرار " و " الخليفة " و " امتدادات ".. يُؤسّسُ القاص سالم العبّار لنوعٍ جديد منَ القصّة القصيرة وهو " القـــصة- اللـــوحة " .. لأنّهـــا تقومُ على التشكيلِ، والمزج بينَ الحـــرفِ واللونِ، ويجعل التكثيفُ الشعريّ عناصرَها طائعةً في

حـضرة خـيالٍ ابتكاريّ، رتبتهُ أصابعُ القاص بمهارةٍ وحنكةٍ، ومزجتها حُنجرتهُ الصافية في نسيجٍ أدبي راقٍ، فكرة خاطفة .. وعبارة موحية .. وخيال .. واقتصاد في الألفاظ ..، كلّها سمات قصّة جديدة .. !!

3 . و" اللعبةُ " مشروعُ قصّة جديدة !!

وأعـتقدُ أنّهـا تُؤسّسُ لأسلوبٍ جديد .. ومثير للعديدِ من الأسـئلةِ ..، لا يمرُّ على القرّاء والنقاد دونَ وقفةٍ جادةٍ، تساوي جديتَهُ، وإثارته، وصخبَه الضروريّ .

" كُحل العين "[1] ...

الواقعُ يكتبُ قصّصًا !!

(1) كحـــل العـــين، قـــصص، محمد علي الشويهدي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت 2002م

1 ـ محمّـــد علي الشويهدي قاصٌّ لهُ أسلوبه المتميزُ والذي يستحقُ الدراسة والوقفة الجادة .. المتأملة، لما فيهِ من جديد ومثير، لا لأنـــه يعكـــسُ الواقعَ الذي يعيشهُ كحالةٍ شفافةٍ نتاج روحٍ ملتهبةٍ وعاشقةَ الحاجةِ إلى البهرجةِ والزخرفِ اللفظي، وكأنّه في قصّصهِ يحـــركُ أصابعهُ على إيقاعِ همّهِ الإنسانيّ والحياتي معًا، أما أبطاله وأحداثهُ، فهوَ يتركُ لهم الحريّةَ في أنْ يكتبوا أنفسَهم، ويتحدثوا دون قيودٍ أو علاماتِ استفهام، ودونَ العبثِ بدقائقِ الزمانِ أو التدخلِ في إيقاعِ وصدى المكانِ، أو أنّهُ يفرضُ على أبطالهِ رؤيةً معينة، ومن هـــنا يُمكنُ القول إنّ قصّصَ " محمّد الشويهدي " لا تصورُّ الواقعَ بـــلْ تـــنقلهُ حـــيًّا، لا تصنعُ أبطالاً بلْ همُ يصنعونها ،وهكذا ترى القـــاصّ الـــشويهدي رابـــضًا فـــي إيقاع حالة اجتماعيّةٍ وشريحة stratumهـــوَ منها وليسَ طارئًا عليها، تأخذهُ نشوة الولادة في هذا الوســـطِ الاجتماعي الذي ينتمي إليهِ، ليكتبَ ما ينبضُ بهِ قلبهُ، كنبتةٍ مـــزهوةٍ.. محتفلةٍ بتربتها التي تراها ذهبًا، .. بعيدًا عن السينمائيةِ المـــتكلفةِ التي تُحوّل القصّةَ إلى مغامرةٍ مُفتعلة، والبطل إلى رسمٍ كاريكاتيريّ مُضحكٍ، وهذا يسيءُ كثيرًا إلى أخلاقِ القصّةِ الناجحةِ التي من عناصرها الحلمُ .. والدّهشةُ !!

2ـ قــصّة " كُحل العين " .. وما فيها من انتماءٍ، ووفاء، وحنين ، وحُبٌّ لا نهائيّ، ودفءٍ تجسّدُ حالةَ الصّدقِ التي يعيشها القــاصّ الشويهدي حينَ يمسكُ بالقلمِ وهوَ يُريدُ أنْ يُؤرّخَ لهمّهِ، الــذي هــوَ هــمُّ الآخرين الذينَ يصغي إلى أنينهم، ويشاركهم جــراحهم، وعشقهم بلا حدود .. فأُمّهُ هيَ كلّ الأمهاتِ، وعشقهُ لها هوَ كلّ عشقٍ، ..وإخلاصهُ كتابٌ مفتوحٌ سطورهُ كلّ فردٍ من أفرادِ وسطه الاجتماعي الذي يتغذى على أشجارِ حنينهِ التي لا تعرفُ الشيخوخةَ:

" وتــرنو بعينـــين صغيرتين كحيلتين جميلتين لا تكادان تتــسعانِ لكلّ ما تمورُ بهِ أعماقها من حُبّ وشوقٍ وعتابٍ، فلا أحــتملُ أنْ تــنوء عيـــناها بكلّ هذا الدفقِ الهائلِ من المشاعرِ والأحزان .. " ص9 .

تقابلُهـــا فـــي الـــرؤيةِ قصّةُ " عرس ليلى " .. وفي سيلِ الحنـــينِ الجارفِ، وأشجارِ المودةِ، والألفةِ، والزغرودةِ الأسريّة الباعــثةِ للأمانِ والاستقرارِ الروحيّ .. حكايةُ الأبِ الذي تشكل ابنـــته – ليلى نبضَ الحياةِ عندهُ وسرّ البهجةِ، وسببَ الحضورِ الأبــديّ : " فليلـــى فتاة غيرُ كلّ الفتياتِ، ليلى وجودٌ عبقٌ بكلّ ألــوانِ العطرِ، ملائكيّ، شفاف، هيَ ذاتُ العشرين بملامحِ طفلةٍ تنصتُ إليكَ فتبدو كما لوْ كانت تُصلّي .. " ص110.

3- فـــي قصّةِ " الفراشة " .. حلمٌ ممزوجٌ بالواقعِ، ترتّبهُ ملامـــحُ امرأةٍ يعودُ لها الفضلُ في اليقظةِ البهيجة التي اعترتْ هـــذا الـــبطلَ الحالمَ .. الذي رسمتْ هواجسُهُ لوحةً لامرأةٍ هيَ نـــبضُ الوجود، وخضرةُ وزهو المكان، والولادة الأكثر ضجيجًا وجـــنونا : " غمـــرتِ المكانَ نسماتٌ عطرةٌ واحتواني ما يُشبهُ الخـــدرَ اللذيذ حين بدتْ بوجهِ طفوليّ ملائكيّ وعينينِ سوداوينِ محفورتـــين بحاجبينِ مرسومينِ بريشةِ فنانٍ أعظم، تشعانِ بهجةً وفرحًا وحياة .. " ص25 .

تلتقي معها في الرؤيةِ أيضًا قصتانِ هما : - " حُبّ " و"عاشـــق المدينة " .. فالمرأةُ لمْ تعُدْ نصفَ المجتمع، أو نصفَ التفاحةِ الآخرَ، إنما هيَ كلّ وقود الدفـءِ والمحبة، والسكنِ الذي لا يـــضرب بوردةٍ – كما يقولُ المثلُ الإنجليزي : " أغرقُ في عينـــيها الـــسوداوينِ الكبيرتينِ، ألثمُ الشفتين المتوهجتينِ، يصيرُ العـــتابُ غزلاً حلوًا، يذوبُ الاحتجاجُ في دفقِ المشاعرِ، أذوبُ أنا، تذوبُ هيَ)) ص91 .

فهذا الزفافُ الذي يجمعُ بينَ الكلمةِ واللوحةِ، تؤيّدهُ عبارة غوركي العظيم : (إنّ الأديبَ لا يكتبُ بالقلمِ فحسب، بلْ يرسمُ بالكلمات) .. !!

4- كُلّ قصّةٍ عندَ محمّد علي الشويهدي هيَ تسجيل لنبضِ حياتي ويومي .. فالحميميةُ والألفةُ بينَ الأصدقاءِ والجيرانِ لديهِ موضوع قصّة، ومرورُ امرأةٍ تشعلُ المكانَ عطرًا ودفئًا وأمانًا في ابتسامتها قصّةٌ ...، والرحيل عن الأهلِ، وحالة عشقٍ عابرةٍ قصّةٌ أيضًا .. القاصُ الشويهدي لا يُبعثرُ كلماتهِ سُدىً، إنما هيَ ثمرةُ حسّهِ الاجتماعيّ، ولحظة تأريخ لمفارقاتٍ متناغمةٍ، وإصغاءه لنبضِ مجتمعهِ الهائمِ في تفاصيلهِ ومتناقضاتهِ معًا :

" بدتْ لهُ تلكَ السنوات القصيّة بالغةَ البهجةِ، مشحونة بالألفةِ والمودةِ، فالأصدقاءُ كانوا أشقاءَ وأكثرَ، والجيران والجارات كانوا آباءَ وأمهات وإخوة أيضًا، الحياةُ يحوطها الأمانُ والطمأنينةُ .. " ص 35 .

5- في قصّةِ (الحُبّ في كلّ العيون) .. حسّ وطني عالٍ .. ،وأبطالهُ لا يتكلفونَ هذا أبدًا، إنما هوَ نبضُ الروحِ المخلصةِ التي تنتمي لتربةٍ احتضنت فكرةَ الجهادِ كشجرةٍ مثمرةٍ لا بدّ أنْ تصلها الشمسُ، وتنعمُ بصوتِ الماءِ والهواء والعصافيرِ طالما هناك نبضٌ في الجسدِ. .. وصوت (أمل) و(ناصر) و(أمّ ناصر) المدويّ بحُبّ الأرضِ والوطنِ جعلَ من (سليم) جنديًا

وفدائـــيًا شرسًا مستعدًا للموتِ دفاعًا عن كلّ حبّةِ رملٍ .. وكلّ نبـــتةٍ يتـــسعُ قلبها للدفـءِ والربيعِ والمطر، وكلَّ إنسانٍ يصنعُ الحياةً بصبرٍ .. وإخلاصٍ كبيرين: ((بدتْ تلكَ العجوز أمّ ناصر الأمـــية البسيطة تمامًا كأستاذ في علمِ السياسةِ، تتحدثُ ببساطةٍ، بمـــنطقٍ، بحرارةٍ، بصدقٍ، في لباقةٍ، ودودةٍ فخورةٍ، وهو يغيبُ، يتـــيه بعيدًا ثمّ يعودُ يلتقطُ كلمةً، جملةً، ابتسامةً، ليغيبَ ثانيةً، .. يرحلُ إلى الأبعد، يوقظهُ حماسُ العجوزِ، يتوقُ إلى الخلاص :

ـ حـــسنًا ..!! مـــعَ السلامةِ ص 43 " أحبُّ الوطنَ حتى الاستـــشهاد .. " ص 45 . تلتقـــي معَ هذهِ القِصّةِ في الحماسِ الصادقِ، والتشبث بكلّ ما هوَ أصيل ووطني وإنساني قصّة: " الزيتونة " حيثُ يصيرُ حُبّ الأرضِ كالصلاة .. فهذا الانتماء إلـــى الأرضِ الـــذي أبداهُ الحاج مبروك هوَ العودةُ إلى الجذورِ والأصـــالةِ originality وتقديس كُلّ ما هوَ إنساني ونقيّ ونابض بالحـــياةِ، والـــدفاع عـــن الزيتونة لهُ ما يبررهُ، فهيَ ثمرةُ الأرضِ ولونها، وهويتها، والتاريخ، والدمُ الجاري في جسدِ الإنسانِ المقهورِ الـــذي لمْ يجدْ شيئًا يتدفأ به سوى إشراقةِ الأرضِ، .. ولهيبها، ولا ثـــوبَ لـــهُ يستر جسده إلاّ ترابها الزعفرانيّ، وهواءها الذي يعيدُ ترتيبَ حركةَ مفاصلهُ التي كادَ يعطلها ويشلها قرار قطع الزيتونة.

إنّ عودةَ الحياةِ إلى شجرةِ الزيتون هيَ عودة الحياة إلى الحــاج مبروك نفسه، ليرى نفسه متوهجًا، متحمسًا، وشابًا ،وهوَ مــزهوّ بكلّ قطرةِ ندىً ،وكلّ طيرٍ، وكلّ ثمرةٍ مضيئةٍ تعلنُ عن زفافها الخالدِ في قلبِ تلكَ الزيتونةِ الربيعيّ:

" اغــرورقت عينا الحاج مبروك بالدموع فيما تراءت لهُ الــزيتونة تضربُ بجذورها في أعماقِ الأرضِ، تمتدُ بفروعها الخــضراءِ إلــى آفاق بعيدة .. فتعطي وتغرق في العطاء فيما تتنفسُ المزرعة السكينة والأمان .. " ص 83 .

6- فــي قــصّةِ(حُــبّ) .. شاعرية دافئة، خلاصةُ حنجرةٍ صافيةٍ، رتبت زمنَ هذا الحبّ أصابعُ نازفة، فالحبّ كما الكتابة، الخجلُ والجرأةُ يسيرانِ معًا في طريقٍ معشبٍ، يضيئهُ حلمُ يقظةٍ صادقةٍ ..

فــي قــصّصِ الحــبّ عــندَ الشويهدي دائمًا الأبطال متــرددون ،خجلــون، تهــشّمُ أمنياتهم الجميلةَ عصا التقاليد والأعــراف، وســياط المــراقبة الــصّارمةِ، فيجدونَ أنفسَهم محاطينَ بأسوار من الممنوعات لكنّهم يقدسونَ لحظة – الحبّ حتّى لوْ أضحتْ ذكرى .. !!

" صــيرتني حطامًا عاجزًا عن فعلِ أيّ شيء، أحدّق في

العينـــين السوداوين بذهول، لا أكادُ أصدّقُ أنّ ما حدثَ قدْ حدثَ فعلاً " ص 94 .

7- في مجموعتهِ القصّصيّة الأخيرة " كُحل العين " يتخذُ القاصُ محمّد علي الشويهدي لنفسهِ أسلوبًا مميزًا لا يكونُ إلاّ لهُ، (أقـــوال شـــاهد عـــيان) تميزه اللوحاتُ القصّصية المرسومة بريشة الواقعِ، وشكلتها إصغاءته الهادئة لهمومِ الإنسانِ وقضايا مجـــتمع هـــوَ جـــزءٌ مـــنهُ : " الإنـــسانُ مقياسُ كلّ شيء " - بـــروتاجوراس . هذا الرسمُ بالكلماتِ هوَ خلاصةُ قراءة واعية لواقـــعٍ، قطـــفَ مـــنهُ بجرأةٍ ورودَ الحبّ والذكرى، والحنان، والانتماء، .. فكانت قصّصهُ شيقةً، مقنعةً، ومشحونةً بعواصفِ مـــن الألـــمِ والحنـــين والعـــشقِ، رواها إلينا القاصّ بصدقٍ .. ودفءٍ.. وشاعرية .. !!

" الطائرُ الذي نسيَ ريشَهُ "...

التهكّمُ والطرافةُ في مواجهةِ واقعٍ قاسٍ !!

1- حين قرأت، ولأول مرة، القاص د . زياد علي في " الجذع المتوحش " أولى مجاميعه القصصية، أدهشني وجذبني أسلوبه المميز السّاحر الذي يهدف فيه إلى امتلاك قلب القارئ، والاقتراب منه بحميمية عالية high intimacy ودفء كبير، فهو في أسلوبه المبتكر creative لا يراوغ، ويوهم القارئ، بل يحاوره من أجل يقظة طويلة - حوار داخل الحدث واللغة - إنه يطرح أسئلته الملحة حول الواقع الذي يعيشه، بل نعيشه جميعا، بدون استفزاز، وخداع، أو تعال، هدفه الارتقاء بالقارئ، وتلك ميزة قلما نجدها عند كتاب القصة المحدثين الذين يلجأون إلى التهويم والتغريب واللعب بوقت القارئ.

والصديق د. زياد علي قاص جاد وحميمي، يعانق الواقع بكل تفاصيليه الجارحة أحيانا ينقله لقارئه دراميا، بدون سينمائية مكررة أو افتعال، ويعالجه بودّ، وألفة، وهدوء، وشاعرية، عبر أسئلة ضرورية، وجديرة بأن تطرح، وبأسلوب قصصي متميز.. إبداعي وراقٍ !!

2- في مجموعته الجديدة " الطائر الذي نسي ريشه "[1]

(1) الطائر الذي نسيَ ريشهُ، قصص، زياد علي، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1988م- دمشق .

اللغة بسيطة وعميقة في الوقت نفسه، تقابلها سهولة وتلقائية في التـــناول والمعالجة، إنه يوظف شذرات التراث الحكائية توظيفا مقــنعا، أعطـــى للقــصص هذا الجمال الهادئ، وهذه القوة في الجذب، والمتعة أيضا، .. فالهدوء الملائكي، والخوف، والسكون الرّوحــــي، والدمعة الصّادقة التي تترقرق في عيني الطفل " عبد الــسلام " في قصة " دم الشيخ حماد " من لوازم الإيمان، جعلت مـــن الشيخ حماد أن يرى الله في عيون هذا الطفل المبارك .. وذلـــك مـــا ســـعى إليه القاص زياد علي دون تكلف، بل بجملة قصـــصية جميلة متقنة، واقتضاب، وذكاء، وحنكة، جعل القصة مثيرة ومشوقة ولا تدعو إلى الملل :

سأل الشيخ حماد .

لماذا لْم تذبح طائرك يا عبد السلام ؟

كانت الدمعة تتلألأ في عين الطفل وهو يقول لشيخه إنني كلمـــا دخلت إلى مكانٍ وقفلت على نفسي وجدت الله يراني، فلم استطع أن أفعل ما أمرت به يا سيدي . ص12

3-فـــي قـــصة : " الطائـــر الذي نسي ريشه " .. يعتمد القـــاص فـــي توظيف حكايته الشعبية على الأسلوب الفانتازي fantasia إحـــدى وسائل الإثارة والتشويق في القصّة القصيرة،

وهـــو دلـــيل على براعته وتمكنه من أدواته الفنية، فالخيال في القـــصّة تلقائي..ساحر ..وممتع fascination-pleased تشكل نـــسيجةُ هذه الصور المتتابعة الجذابة التي أبدعتها أصابع قاص ماهر مجدد ومتمكن له الفضل في إعطاء هذه القصة ما تحتاجه من الشفافية والشاعرية الهادئة :

فقال له :-

- يا بني إنك لو نظرت وراء القصر لشاهدت الأميرة قد قـــاربَ عمّالها وخدمها من بناء قصر برؤوس الذين حاججوها فكيف تعتقد بأنك الشخص الذي سيفوز بها ص19.

4 ـفـــي قـــصة " بعيونك تراك الناس " ينجح القاص في اســـتخدام الأســـلوب الكاريكايتري، فالطغيان لا يُقابل بالغضب، والـــثورة، والتمرد فحسب، إنما بالسخرية اللاذعة والتي تمثلت في كلمات ذلك العجوز الطيب الذي تعمد أن يلطم السلطان على وجهـــهِ بسيلٍ من الكلمات النيزكية الساخرة والجارحة، والتي أراد مـــن خلالهـــا أيقـــاظ السلطان الضال الذي كان لا يري أكثر من قـــصره المظلـــم وكرســـيه المضطرب وأبهته وجبروته الفارغين متناســـيا تماما أصوات الحق أصوات الآخرين التي تنتشر كأريج الزهر البري لتعيد الأمان، وتذكرّ بالحياة .. والخلود .. والحرية:

" وذات يومٍ جاءهُ رجلٌ عجوزُ وقال لهٌ :

يا مولانا الحاكم – يجب أنْ تراعي الناسَ وتساعدهمُ

فأنت مسؤِول عنهم فهمُ شعبكَ ..

قالَ الحاكمُ بغضبٍ :

هذي الأمور لا تهمني

لقدْ خلقوا في الطين وهكذا يعيشوُن،

مادخلي بمشاكلهم ص28.

5- وحينَ يلجأ القاص زياد على إلى الأسلوب الطريف – التهكمي، فهذا يعني أنه يربض في إيقاع واقع قاس، وخانق، وما هذه الطرافة في قصة " الحمراء لعب أولاد الساقية " ألاّ وسيلة سـخط، وتفوق وانتصار أيضا، على هذا الواقع يجسّدها القاصُ وهـو يتكئ على خيال جامح Imaginative تتلوهُ حقيقية أكثر مرارةً .. وأكثر جُرحًا :

" فجـأة أحس أن قوائم الماعز تطولُ وتطولُ وتطولٌ إلى أنْ أصبحت تُلامس الأرض لم ينتبه أي نوع من الخوف و فجأة انفلتت منه ضحكة ردًا على الصوت الذي يسمعه من الماعز .." ص 35 .

6- في قصة " بين الظلم – والعدل " يصبح الخيال منطاد الـــنجاة والخـــلاص، فحب الشاب للفتاة ابنة الملك واقع، وحكاية القطع الذهبية التي نسجتها الأم كي تخلص ابنها من أمر الموتين هـــي الخـــيال، بل طريقة ممتعة للتشويق في القصة التي قامت أصـــلاً على اللعب بالكلمات والخيال معًا، بفضل براعة القاص وتلقائيته في نسج هذه الحكاية الجميلة :-

" فـــي كل يوم أرى ابني يقترب من الموت ولا أمل في علاجـــه فقلت لنفسي هذا الولد ميّت ميّت فلوْ تركتهُ على حاله سيموت بين يدي ولا توجد مشكلة تشغله في الدنيا إلاّ الحصول على الذهب فأخبرته بقصة والده " ص52.

7- وفـــي قـــصة " أبو زيد البسطاني " تقوى الحجة، وتنتـــصر الـــسماحة، والليونة، ودفء الإيمان الرُّوحي على القوة غير المبرّرة، والغلظة المُصطنعة، والغطرسة الفارغة، ولـــم يعَدْ هُناك من دليل إلا نبض القلب الصادق، والكلمات الدافـــئة وحُـــب الحـــياة، والتعلق بمبدأي العدل والحرية .. فـــرجوع قاطـــع الطريق إلى الحق، وعودته إلى الإصغاء لنـــبض الحـــياة الحقّة، وإعجابه بأناشيد الروح جعله يؤمن بالمقدس والعادل .. والحر :

" توّضأ وصلّي ركعتين وانفرطت الدُّموع من عينيه رفع يديه إلى السمّاء مستغفرًا .

وقـال بخشوع : كل هذا الجاه لي عندك ياربّ وأنا عبدُ عاصٍ سامحني لقَدْ تبتُ إليك وأغفر لي ما سلف " ص60 .

8- إن بنيان القصة المتكامل، وشكلها الانسيابي الممتع في قصة " القلعة والماء " عنصرا الإثارة والتشويق والدهشة .. وبهذه البساطة المدروسة، والخيال الذي ليس للجنوح والتسلية، إنما هو وسيلة لاستخلاص العبرة والعظة، اللتين تجاورهما وتصاحبهما الكلمات النابضة، فتفعل القصة بك فعلها لتشعرك بأن أبطالها قريبون منك وأنت قريب منهم، ... وهذه الحميمة هي نتاج جملة قصصية مشغولة بمهارةٍ وبأصابع غير مرتعشة":

" قالَ لهُ الوالي ساخرًا :- اذهب واحضر البحر لي عنْدها سوف أفرج عن ابن العجوز..

نزل الشيخ واتجه ناحية البحر الذي كان يبعدُ مسافة عن القلعة، وعندما وصل الماء ضرب بعصاه البحر وقال له على الله تتبعني وعكف راجعًا فيما كانت مياهُ البحر تتحّرك وراء عكّازهِ " ص77.

9–فـــي قصة "عسيلة في بلاد الروم ".. تقديس للموروث وبأســلوب مُثيــر ومقــنعٍ تعكسُ القصة الواقع المعاش.. فهذا الدخول في التفاصيل الدقيقة ليس من أجل السخرية والتعرية، بل مــن أجــل التأمل والإصغاء لما تركه الأسلاف الذين يشكلون ذاكرة جماعية ممتدة حتى هذا التاريخ .. وهذا المخزون التراثي الحكائـــي الـــذي تركوه، فيه من العبرة والموعظة والضوء .. والقدسية الكثير .. والكثير :

" حضرت الفتاة عسيلة وسألها الشّيخ :

هل هذا الرجل هو الذي استنجدت بالله وبي منه ؟

أجابــت : لقد أرغمني الإيطاليون على الزواج وكنت في رعــب شديد أن يدخُل بي كافر ودعوت الله ودعوتك فاستجاب لي .." ص105.

10– القـــاص د. زيـــاد علي في مجموعته القصصية: " الطائــر الذي نسي ريشه " يمتلكُ مهارة في إمتاع القارئ حتى الانتشاء ...، فهذه اللغة القصصية الرشيقة .. الشفافة قد جسدت أهــم وأبــرز قــيم وأخـــلاق إنساننا العربي، والليبي على وجه الخصوص، هذه القيم التي لها من القدسية، والتقدير، والاحترام ما جعلها عنوانًا لآداب وأخلاقية مجتمع قوي الأساس ثابت الأركان

مادامــت تعــيش فــيه هذه المُثل، مُتجسدة في الدعوة إلى الحق، والانتــصار للعدالـــة والدفاع عنها، وتقديس المحبة والحياة على إيقاعها، والصلاة للحرية والكرامة في اللازمان واللامكان ..!!

إن د. زيـــاد علـــي لم يتوقف دوره على توظيف هذه الحكايات لدلالات عصرية فحسب إنما أراد أن يؤسس لنظرةٍ موضــوعيةٍ صادقة ومدروسة للموروث الذي فيه الكثير من المــوعظة والحــياة .. والإنــسانية .. ومُبررات الاستمرار والبقاء والوجود ..

أكتوبر 2002م

" شهوة السكين "[1] ...

وشهوةُ الكتابةِ !!

(1) شـــهوة السكين، قصص، سالم الأوجلي، الدار الجماهيرية للنشر مصراته، 2002 ف.

1-"شـــهوة الـــسكين " : قـــصص تؤسس لحُلم شفافٍ لا ينتهي،.. هذا ما استنتجته من خلال قراءةٍ متأنيةٍ لها، وأنا أعبرُ لـــيلاً هادئًـــا مـــن الكلمات المتحابة والمتآلفة في إيقاع إنساني صـــادق، لتجسيد حالةٍ شفافية تقود إلى حُلم ..، هو في الحقيقة عدة أحلام ..!!

والقاص سالم الأوجلي تغريه القصة – الحالمة ..!! ربما تحقق له مساحة من الحرية للتعبير عن مكامن الروح ..، وربّما هـــي الـــوعاءُ الذي يتسعُ لحالتهِ الشفافةِ ليتكئ – وهو يجسّدها للقارئ – على إيقاع قصيدة هادئة، وهو ينتصر لموضوع قصته وحكايـــته .. ومطالب بطله الذي (هو) غالبًا، دون أن يستسلم لشرود القصيدة وخيالها الجامح :

" فـــي البلاد التي أحبّها، في المدينة التي لمْ أغادرها، في الحـــيّ الغـــريب، في الدور السُفلي من البناية، في غرفة كتبي ونومـــي كـــان أن انـــبطحت، وامتدت ذراعاي، لامست خيوط عناكب عششت بين أكداس الكتب، واستنشق أنفي غُبارًا رطبًا.." – قصة "فتات" ص 26 .

2- فـــي قصة "مرايا أكاكوس ".. يتعلق القاص بتفاصيل

المكان، فهو جزء منه، وربما هو الماء الذي يروي شجرةَ حُلمهِ الآسر، فتأخذ القصة شكل التأمل الشعري في المكان،... فهناك حـــبٌّ، وحـــرصٌ، وشوقٌ وحرقةٌ، وانتماءٌ، وحيرةٌ أيضًا.. وهذه الأشـــياء لا تثقب خيمة الحلم التي يستظل بها، بل تضيف إليها وتدًا آخر خيطًا، وربما تربة أعمق، وأقوى، وأكثر خُضرة ..

" الـــشمس تغـــرب، غـــادرة سريرها، قبال النافذة ورأيتها تتوارى خلف قضبان رافعة حديدية عالية " مرايا أكاكوس ص32.

3 –في " شهوة السكين ".. يطغى الإيقاع الحياتي اليومي البسيط والعفوي، والذي يعود بك إلى ماضٍ قاسٍ، ومخزون في الذاكـــرة الطفولـــية الممغنطة بألم حاد ،.. ليس شريطًا سينمائيًا مؤثـــرًا أو ممـــلاً، بـــل هو صورة جارحة من صور الماضي القـــريب، والـــذي يجمله هذا الاحتفال الزاهي بالفوضى والعبث الضروريين، والمرتبطين بإيعاز طفولي شديد البساطة والشفافية، مجـــسدة في صورة الطفل الذي ذهب إلى المدرسة وفي حقيبته (طيْران).. ربما تمثل براءة الطفل التي أفسدتها رعونة وقسوة الواقـــع .. إن حالة التمرد لدى الطفل التي أصر القاص عليها كـــنهاية تـــراجيد كوميدية، أراد بها لحظة الانتصار على الواقع حتى الانتشاء والفرح :

" صرخ المعلم : ـ زيدوا اضحكوا !!

انــتفض الــولد وأســقط جــسده إلى أسفل، قطعت حافة القــضيب خــصلة الــشعر .. وتحرر وهو يلهث . وقف بباب الحجرة، التفت إلى المعلم المباغت .

– يلعن ديكك وديك المدرسة "ص 41

4–في قصة " دموع القبلي " تقرأ شكلين شفافين للقصة..، فهــي تــارة لــوحة تشكيلية تعصف بك تفاصيلها وخطوطها، وألــوانها كمــا عصفت رياح القبلي بالبطل، وتارة أخرى هي قصيدة حالمة ترتقي بك إلى عالم ميتافيزيقي، عالم البطل وحده .. فتــراه – دون تكلــف – يتسلى، ويعشق، ويتأمل، مستحضرًا صــور ووجوه وأرواح كل من يُحبهم .. إن هذه الفانتازيا، وما شكلتها من إثارة تنم عن موهبة حقيقية .. وقصّصية ناجحة .." ســيأتي القبلــي عنــيفًا هــذه الليلة وأرواح الأسلاف الغابرين ســتزورني .. هُــنا في هذه الغرفة فوق سطح الدار، ستركب القبلي وتأتي أرواح قديمة .." ص45.

5 ـ في قصص "سيجار الأماني " و" بطاقات " و " الكرسي" يُمغــنط القــاص واقعه المرَّ بسريالية هادئة ومُقنعة، ورُبما هي تعبيــر عــن المرارة التي يشعر بها الإنسان عندما يحس بأن

وجـــوده مهدد، وأنه مجرد جسد مريض مُلقى على كومة رمل يائس، أو رقم ملغي يُضاف إلى الباقين .. وهُنا يستخدم القاص مُفردة لاذعة ساخطة ضرورية :

" ظهــر الفــساد في البر والبحر" ص67 و" دخلت بطاقة الهوية تتعثر خوفًا " ص 71، و" انظر المقهى مقلوب .. صحيح كلّ شيءٍ مقلوب ماعدانا .." ص76.

6-سالم أحمد الأوجلي .. قاص موهوب ..، ومُجرب بخطـــى وئيدةٍ، فقصّصه تسير في أكثر من خط، وأكثر من لون، وأكثر من شكل : " إن الشكل في الفن هو دومًا أكثر من مجرد شكل "- ميلان كونديرا!! فتارةً يمزجُ بين الواقع والحلــم، لخلــق نــوع من التشويق، وتارةً يعالج واقعه، بل يتخلص منه بالرحيل على جناحي الحلم الأسطوريين، فتأتي قـــصته " حلمــيّة " محـــضة، تستعير من القصيدة نسيجها الـــشفاف المؤثر والموحي والذي يمنحها هذا الظل والعمق الإنـــساني .. وأحـــيانًا لا يجـــد طريقة يُعالج بها الواقع إلا بالسخرية منه، فتأتي قصته سريالية هادئة، تقود القارئ إلى الـــتأمل رغم طرافة المعالجة التي نجح فيها الصديق سالم الأوجلي كثيرًا..!!

إنـــه يكتبُ قصته بهدوءٍ، فالجملة مشغولة بتأنٍ، ووعي، ومـــرانٍ ،.. وهوَ يُوحي إليك بأن قصته مخزونةٌ ومكتوبةٌ في ذاكرته قبل أن تُكتبَ على الورقِ .. وهذا ما دفعني للكتابة عنه، وأدعوُ الآخرين لقراءتهِ بإلحاحٍ حميمي ..!!

2002 ف

" المرأةُ الفرح "[1] ...

انحيازٌ للحريةِ والحُبّ والحياة !!

(1) المرأة الفرح، قصَص، محمد المسلاتي، مجلس تنمية الإبداع الثقافي الطبعة الأولى 2004 ليبيا- بنغازي.

1. ((أنا امرأةٌ، امرأةٌ ليسَ أكثر)) ص55 !!

وهـــيَ في الحقيقةِ أكثرُ من امرأة، وأكثرُ من قصّةٍ مثيرة، وأكثـــرُ من حالةِ عشقٍ مُقلقةٍ، هكذا أرادها القاصُ المبدعُ محمّد المسلاتي، وتلك هي الرؤية التي تبنى عليها قصصِ المجموعة، ففـــي قـــصّته الطويلة " القضيّة " يكتبُ و" ببساطة عميقة " كما يُعبرّ الناقد سالم العبار حين تأخذهُ شهوةُ أو لذّةُ الكتابةِ، وهنا سرُّ الانجذاب لقصّصه، فأنتَ تقرأهُ دونَ الشعورِ بالضجرِ أو المللِ، لأنّهُ يقولُ لكَ شيئًا، ولا يُحبُّ أنْ يُخفي لأنّ الكتابةَ لديه " إفشاء سرّ " حسب تعبيرِ رولان بارت .

في قصّة " القضية " يُمتعكَ القاص بأسلوبهِ المُتقنِ، وإيقاعهِ الروحـــي والـــشعريّ معًا، ولغتهِ القصّصية المشغولة بحنكة، حينَ تحـــسّها منـــسابةً على أصابعهِ كقطراتِ الندى على أوراقِ شجرةٍ فاجأها الصباحُ وهيَ تغزلُ لحظاتِ النُضجِ لثمارها، أو وهيَ تجمعُ عـــسلَ أفيائها لعصافيرها الغنّاء، .. البطلةُ شريفة محمود شريحة اجتماعـــيّة ليـــسَت الوحـــيدة والـــنادرة ولكنّها مُتفردةٌ في همومها وأسرارها، وأحلامها، وفي الذكاءِ وحُسنِ التخلصِ أيضًا،.. ووكيل النيابة لهُ همومهُ الخاصّة فهوَ شريحة من نوعٍ آخرَ، ولكّن همومهُ

تتماهى معَ همومِ بطلةِ القصّة – شريفة محمود، فتارةً يشفقُ عليها لأنّهـــا ضحيةُ مجتمع، وتارةً أخرى يُحتّمُ عليه واجبُهُ الوظيفي أنْ يقــسوَ لكـــيْ يصلَ إلى الحقيقة .. ولا حقيقة بعدَ أنْ تسودَ وتحكم الـــرذيلةُ مجـــتمعًا، ويكون صاحبها هوَ الفائزُ والمنتصرُ في نهايةِ المطـــاف: "تـــصبّبَ جبيـــنهُ عرقًا، شردتْ أفكارُهُ بعيدًا، يا لها من مُـــصادفةٍ، قـــصّتُها تشبهُ مأساته تمامًا، زوجتهُ عاقر، يحلمُ بطفلٍ، حلمهُ يسكنهُ .. لكن الحلمَ يموت في عجزِ زوجته " ص37.

" يـــا إلهـــي!! أســـماء لمْ تخطر لهُ على بال، شخصيات مهمـــة، أســـماء لامعة، مرموقة من مجلسِ الوزراء، يا للهول، حـــدّثَ نفسَهُ، كيفَ تمكنتْ هذهِ المرأةُ من توريطِ كلّ هؤلاء، إنّ الموضوع خطيرٌ جدًّا " ص52 .

2. فـــي قـــصّة ـ النهـــر، الشمس، الأطفال، العصافير ـ حـــواريّة جذّابـــة، جدلٌ يفضي إلى ما هوَ حقيقيّ فعلاً، يُفضي إلى الحياة التي يجبُ أنْ تستمرَّ وهيَ مجسّدة ويرمزُ لها النَّهر المتدفق بـــالأحلامِ، والآمال، والخبز، والضحكات، حيثُ يُصبحُ حُبّ الحياة فرضًا، وفكرًا، وطريقًا، والتفكير في استمرارها وجمالها ليسَ تسليةً إنمـــا رؤية، وجديّة، وعمل، وحلم منلوّ بيقظة، (إنّ طريقةَ التفكير تكشفُ عن طريقةِ الحياة) ـ ألبير كامو .. !!

وهناك الكثير منَ الجميلِ، والحياتي، والإنساني الذي يربطُ بين مكونات الطبيعة :

النّهـر.. الـشمس .. العـصافير ..، فالنّهـر – الحياة، والـشمس– الحقـيقة، والأطفـال– الحـب المـتجدّد والولادة، والعـصافير– إيقاع الكون المنغم الذي تجملهُ مبرّرات الوجودِ والخلـودِ : " انـدفعت مياهُ النهرِ في كلّ الاتجاهات .. ظهرت عـشرات الأشـجار السامقة .. برزت آلاف السنابل .. السنابل نثرت حبّات قمح ..، القمحُ أعطى خبزًا مدورًا كوجوه الأطفال،.. أكلته الطفلةُ بنهمٍ، توردت خدّاها .. أقبلَ آلافُ الأطفالِ .. عانقوا النّهـرَ .. قدمت عشراتُ العصافير .. حطّت قربَ النهرِ، ابتسمَ النهرُ، والشمسُ، والأطفالُ والعصافيرُ . ص65.

3. يقولُ برنارد شو: " إنّ الفنَ هوَ المرآةُ السحريةُ التي تقومُ بعكسِ الأحلامِ غير المرئية وتحولها إلى صورة مرئية " ..

وفـي قـصّةِ البدايات أحلام غير مرئية، وحينَ يُحولها القاص المسلاتي إلى صورة مرئية تبدو مُزعجة ومرهقة، وهذا ما يلمسهُ القارئ في ذلكَ الصراع غير المتكافئ وغير الإنساني بـينَ الحـياة المتمـثلة بالأطفال والعصافير والبحر والشمس والـورق والألـوان والكلمات، وبينَ ما هوَ ضدّها والمتمثل في

الطغـــيان، والقـــوة، والظلمـــة، والـــسجن، والشرطة، والخوف، والـــرعب، والجهـــل .. وكان المسلاتي بارعًا وهوَ ينحازُ إلى الحـــياة .. إلى الحُبّ الذي يظل النصرُ لصيقًابهما، كذلك الحرية التي هيَ أهمّ من الخبز والهواء، .. فهذا الطفل الممتليء بصوت العـــصافير وزرقـــة البحـــر وموسيقا الألوان – صوت الحياة، يرفضُ السجنَ، والقوة الغاشمة، والطغيان والظلمة : " لنْ أرسمَ شـــرطيًّا مرّةً أخرى .. لنْ أرسُمَ سجنًا، لنْ أرسُمَ أشرارًا .. لنْ أرسُـــمَ حـــدودًا .. " ص81 ويـــتعلق بالـــولادةِ، والفجرِ، وتحيةِ الصباحِ، ونشيدِ الوطن المكتوبِ بأصابعِ الحريةِ والحياة : " ظهرَ الأطفـــالُ، ابتسموا، اندفعوا نحوَ البحر .. ركضَ هوَ أيضًا نحوَ الشمسِ، والأشجارِ، والبحر، والأطفالِ .. حلّقَ معَ العصافير .. تنفسَ هواءً مشبعًا برائحةِ العشبِ، والبحرِ، والشمسِ، والمطر، مدَّ يديه معانقًا عالمَهُ الوضّاء .. " ص83.

4. ومـــن مظاهرِ التعلقِ بالحياةِ والانحيازِ لها وإلى الألفةِ والمحـــبةِ والـــوحدةِ هذا النزيفُ الشعريّ الدافئ في قصة (العلو) التي بطلها العصفور .. هذا الكائن الذي يرمزُ إلى الحرية والبراءة أيضًا، حينَ وجدَ نفسَهُ وحيدًا، فقدَ وجودَهُ وكيانهُ وإحساسهُ بالحرية .. بالحياة، وسرعانَ ما عادَ بهِ الظمأُ إلى التآلف ..

والاجـتماع بــلا حدود!! .. " وحينَ ألفى نفسَهُ في علوٍ شـاهقٍ شـعرَ بـوحدتهِ، أحسَّ أنّ الفضاءَ الواسعَ يلتهمهُ، وأنّهُ صـغير .. صـغير مـثل نقطة، أدركهُ خوفٌ هائلٌ، بعثَ فيهِ الارتعاش، تذكّرَ أُمهُ، تذكّرَ الأرضَ، تذكّرَ مجموعاتِ العصافير التي هجرها، غيّرَ اتجاهَهُ .. أسرعَ بالهبوط " ص114.

5 . المرأةُ الفرح .. هيَ المرأةُ– الحياة !!

تظـلُ لصيقةً بهِ، تجمّلُ كلّ شيءٍ حولَه، هيَ نبضُ المكانِ والـزمانِ .. وأنّهـا الولادةُ والخلود والاستمرار : " الحاضرةُ الغائـبةُ في زمني، حينَ تكون يأسرني زمانُها، يحتويني بحرُها الصاخبُ، .. وعندما تغادرني لا يغادر ني زمانُها المنسكبُ في لحظاتـي " ص145 والانحـيازُ لهـا هوَ انحيازٌ كاملٌ للحُبِّ، والحـياةِ، .. إنّ لغةَ القصّةِ الدافئة، وشعريتها الآسرة، ونافورات الفرحِ، ومواكب الحياة، تقولُ أكثرَ من ذلكَ .. الشارعُ، والناسُ، وغـرفة التحقـيق، والشرطيّ، وشهود الزور ...، كلّ هؤلاءِ لهم إيقـاعٌ خـاص يفعـلُ في الروحِ والجسدِ فعلَ الحياة، والدفء، والمفاجـأة، حـينَ تنشرُ المرأةُ ـ الفرحُ عطرها : (أية امرأةٍ كانـت ؟؟ البحـرُ، الـصخبُ، المطرُ، الرعدُ، العاصفة، الهدوء، احـتوت كلّ الأشياء) ص143. قدْ تختفي لكنّها في كلّ الوجوه،

لا يقـــوى المـــوتُ علـــى هزيمتها لأنّها نسغُ الحياة، والولادة، والحُـــبّ، فيـــراها جديـــدة، ويافعة، وبهيجة كالصباحِ، والمطرِ، والنـــسائم، والأحلام، والكلمات : "منذُ ذلكَ اليوم لمْ ألتقِ بالمرأةِ الفرح .. اختفت من حياتي تمامًا، لكنّني صرتُ ألمحها في عينيّ كلّ امرأةٍ تقابلني .. أدمنتُ التحديقَ إلى عيونِ النساء" ص 168.

6 . فـــي قصّةِ " العجوزان ": رهانٌ غير خاسرٍ أبدًا على الحـــبّ .. ورهـــانٌ آخـــرُ على تجدّد الحياة في كلّ قلبٍ نابضٍ بالحُـــبّ، وكلّ جسدٍ يرتعشُ لحظة الصلاة لكلّ ذكرى فيه .. معَ الحُـــبّ تبدأُ الحياةُ، يلغى الزمن، وتجدُ اللحظات نفسَها تبدأ من شـــريان نهر متدفقٍ : " لكنكِ كنتِ تعيشينَ في الذاكرة، تستلقين وســـط دماء القلب ،لمْ أنسَ ملامحكِ، تفاصيل وجهكِ " .. " في الحقيقة لمْ أحبّ امرأةً بعدك " ص173، " أراكِ الآنَ كما عرفتكِ منذُ خمسينَ عامًا " ص174، " كلّ شيء يعودُ لنقطةِ البدء، أتذكرُ مـــنذُ خمـــسينَ عامًـــا التقينا وها نحنُ نلتقي " ص176، " إنّني أرتجـــفُ كمـــا ارتجفـــتُ عـــندَ أول لقاء بيننا " ص177، تلغى المسافاتُ أيضًا، والملامحُ تتجدّدُ، والمفاجأة تبدأُ مثل نهرٍ مجنونٍ بتـــربتهِ، وعصافيرهِ، وربيعه، .. ينتصرُ الحبّ، لتجدّد الحياة، بلْ تـــستمر، لـــيدخل الخوفُ والكراهيةُ والموتُ يائسينَ إلى قبرهم الأبديّ منبوذينَ مطرودينَ من مملكةِ الوجود .

7 . هكــذا نــرى المــرأة الفرح، في كلّ قصة امرأةٌ– شــجرة، لتــصير الحــياة أنثـــى نادرة، وما الرياحُ والأمطارُ، والأنهارُ، والعصافيرُ، والأطفالُ إلا راعينَ لموكبِ زفافها الخالد " يــورقُ، يــورقُ، قلبُ المرأةِ.. تغدو الشجرةُ امرأة .. يزهرُ، يزهرُ، جسدُ الشجرة " ص187.

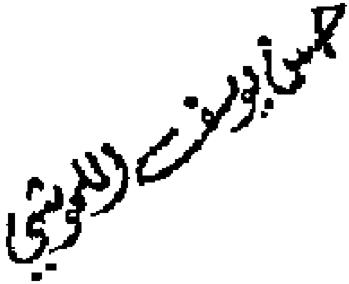
وأنّ الانحيازَ للمرأةِ– الشجرةِ – الحياة يجعلُ الحزنَ يسأمُ، يُغيّــرُ من جلستهِ الكئيبةِ، فيخلعُ ثوبَهُ وماضيه القاتمَ، ليلحقَ بالفرحِ كــيْ يتعلمَ منهُ كيمياءَ الابتسامةِ.. كيمياءَ الحياة وسرّ الوجود " آه، أيّها الفرحُ المُخبّأُ، لوْ التقينا لتعلمتُ منكَ كيفَ ابتسمُ " ص193.

8 . المــرأةُ الفــرح ..لمحمّد المسلاتي قصّصٌ تنتصرُ للحُــبّ، وترسمُ سجّادةَ الصّلاة للحرية ...، وهيَ تنحازُ بإصرار، ودفء، و شاعرية للحياة، فتصير المرأةُ شجرةً، والشجرةُ والماءُ أول الحــياة وأبجديــتها، والأطفالُ يلبسونَ ثيابَ النهرِ، ليمتلكوا فيتامــينَ الجــسارةِ والدخول إلى عالمِ الرجولةِ، .. والحزنُ بلا وجــود، وهــو يرى الضجرَ والبؤسَ يملأ وجهَهُ الكالحَ، فيتنكر لماضيه، ليلحقَ بموكبِ الفرحِ علّهُ يضيفُ حرفًا طائشًا لأبجديتهِ العظيمة، أو يبني معهُ كينونة الوجود .. !!

المــرأةُ الفرحُ .. قصّصٌ كلها فرحٌ، وكلّها حياةٌ وحُبٌّ،

أبطالها قريبونَ منّا، بلْ هُم منّا، نراهمُ في كلّ مدينةٍ، وكلّ شارعٍ، وكلّ ناصيةٍ، وفي كُلّ دمعةِ ضوءٍ .. والقاصُ محمّد المسلاتي " يرى قصّصهُ ثمّ يكتبها " صفةٌ لمْ يتفرّد بها تشارلز ديكنز وحدهُ وهوَ يتحدثُ عن أسرارِ إبداعهِ الجميلِ ..

والمــسلاتي يمــنحُ أبطالَهُ عمقًا، وخلودًا، وشفافيةً، وهوَ يتعاملُ معهم حميميًّا وشعريًا، وتلكَ هيَ نقطةُ الجذبِ في قصصٍ بدأت لتستمر، ولتبقَ على كلّ لسان .. !!



" صفرٌ على شمالِ الحُبّ "

أسئلةُ الشعرِ في القصّةِ !!

1. قصّةٌ – قصيدةٌ – امرأة ..!!

ثـــلاثُ مؤنثاتٍ يلعبْنَ بوقتِ وقلبِ هذا القاص الشاب ..!! هذا التداخل الجميل، والمربك أحياناً في المجموعة القصّصية " صـــفر على شمال الحُبّ "[1] .. تولدُ في خضمهِ العديدُ من الأسئلة الأكثر جمالاً وإرباكًا .. !!

أهـــيَ القصّةُ التي استحوذت على كلّ ينابيع الشفافية في القـــصيدةِ ..، وغافلت المرأة أيضا وسرقتْ منها كلّ هذا السحرَ والعذوبـــة والقـــوام ..!؟ أهـــيَ القـــصيدةُ التي ظلّتِ الطريقَ مـــرغمةً!!؟ ربّما لأنّ القصّةَ استعارت منها أحشاءها، واستولت علـــى لغـــتها وضوئها الكونيّ ..أمْ أنّها المرأةُ التي تمنّت تلكْ الـــولادة المـــصحوبة بالقلـــقِ والصخبِ والتفجّر ..، ورضيتْ مـــزهوةً .. متعاليةً بثوبِ القصيدة الذي خاطتهُ أصابعُ الشمسِ، ووجهها الذي عطرتهُ قطرات المطر الربيعيّ ..!!

أهيَ المرأةُ – حالة العشقِ التي اختارت نسيجَ قصّةٍ من أجـــلِ الحـــضور اللائق، وفضلت حُنجرة القصيدةِ للتعبير عن

---

(1)صـــفر على شمال الحُبّ، قصص قصيرة، جمعة الفاخري، دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي 2003م .

حـــالات الهيام والغرام ولواعج الحبّ لعاشقٍ- إنسانٍ يتركُ قلبَه النابض بالحياة، وأصابعه المتوجة بالجنون الضروريّ ليكتبا ما يُمكنُ أنْ يُقرأ كقصّةٍ ..، ويحلمَ كقصيدةٍ ..،ويعشقَ كامرأة !!

2. " صفرٌ على شمالِ الحُبّ " ..نصٌ مركّبٌ !!

عبّـــرَ عنهُ القاص والناقد – سالم العبّار بـــ " بالجمع بينَ القـــصّةِ والقصيدة " .. وذلكَ لأنّ القاص جمعة الفاخري استفادَ مـــن تقنـــية القـــصيدة ومفرداتها، وصخبها، وفوضاها الجميلة كثيرًا..، وهذا عائدٌ لقراءاته الشعرية .. وكتابته الشعر أيضًا..، ومـــزجَ بشكلٍ رائعٍ بينَ هذين الفنينِ دونَ أنْ ينحازَ إلى الشعر، فتـــصبحَ القصّةَ لديه (جنين شعري) ..، مُصغيًا لفعلِ الكلمة، وصـــوتها اللـــذين منحاهُ هذهِ البراعة في صُنعِ جملةٍ قصّصيةٍ هادفةٍ، معبّرةٍ ..، وهو بذلك قدْ اخلصَ للقصّةِ والقصيدةِ معًا..، بروحٍ مبدعةٍ، وشفافة، ووجدانٍ صادق !!

فـــي قصّة (صفر على شمال الحُبّ) التي اتّخذَ منها القاصُّ عـــنوانًا لمجموعـــته، يـــصعبُ على القارئ تجاهل أوْ إغفال الكونَ الـــشعري في العديد من العبارات : " إنّهم كالفراشاتِ يحومون حولَ نيـــران الـــوهم ويحترقون بأحلامهم "ـ ص14 . و " لكنّها جارحة الغياب كانحباس المطر في مواسم الشعرِ والعصافير " ـ ص16..و "

" صهلت جياد الوجع بقلبي وانطلقت مذعورةً تتسول الأشواق على أرصفة الصّقيع والغربة والفشل والمرارة "ـ ص17 ..و "ثمّ يركضُ خلــفَ خطواتها بجنون فيرميه النكوص على أرصفة الخيبات يّدخنُ وحــيدًا فشله .. "ـ ص20 ..و " ثمة شتاءات تتناسل في أعماقه وفي عينــيه وقلبه.."ـ ص22 .. و " عيناكِ قنبلتان للأشواق الموقوتة، فلا تفجريها في قلبي، فتتدلق ينابيعه .."ـ ص24 .

القــاص جمعة الفاخري لا يخفي تورطه في الشعر، وهذا الانجراف التلقائي لكونهِ .. حتّى لوْ خسرَ العالم كلّه " المهم أنّي قدْ ربحتُ أروعَ قصيدة " ص15.

والقــصيدة هــنا (الكلمــةـ الشعر)، و(حالة العشق ـ المرأة) في آنٍ ...، وهو القاص والشاعر والعاشق الذي يسعى بخطىً واثقة ...، وقريحةٍ صافيةٍ ...، وأناملَ ريحانيةٍ إلى إرساء دعائم مملكته (يوتوبياه) التي تفوقُ كلّ الممالك ..!!

فــي قــصّة " الاختناق عندَ جبال الملح " .. يظلُ الإيقاع الــشعري الإيحائي مسيطرًا، فتظهر من خلاله حالة العشق التي يعيــشها الــبطل ـ الراوي كشريطٍ سينمائي تتربع على كرسيّ بطولته العديد من الشخصيات النسائية ...، العديد من الوجوه .. والأسماء في مختلف الأزمنة والأمكنة ...، كُلّها تتداخلُ في نسقٍ

شعري – قصصي إبداعي .. وتتجدد هذهِ الأسماء والوجوه عبرَ مــنولوج داخلي، ذكريات قديمة .. جديدة، تربتها أحاديث جدّته الممزوجة بالواقع .. والخيالِ معًا :

" وتعــرفتُ علـــى تلكَ الفتاة كانت جميلة وجذّابة إلى درجةِ الشاعرية ذات عينين مُشرعتين على البحرِ والسماء معًا.."– ص36.

إنّ حالـــةَ الاضـــطراب والارتباك، والبحث المضني عن عـــنقود هدوء، تقذف به حالته الشعرية قدْ ارتقت بالقصّة كثيرًا، ومنحـــتها كـــلّ هذه الشفافية ..وهذا الدفــء الكبير ..وسطَ هذا التمـــزق والخراب الروحيّ، يضعُ القاص الفاخري بصمته على قصّةٍ مشغولةٍ بحنكةٍ .. وبراعةٍ .. وتمكنٍ !!

4. فـــي قـــصصِ " الحجاب، أربع عيون، موعد المقابلة، الطـــرقات، طفـــلان، رجل البحر ".. يعتمد القاص على اللقطة السريعة، وضغطٍ للزمنِ غير مُخلٍ في البناء الفنّي للقصّة..!!

فـــي قـــصةِ (الحجـــاب) ..معَ شيء من الخيال يلخصُ القـــاص موقفًا حياتيًا .. ممتعًا .. شيقًا، ومقنعًا رُغمَ ما فيه من طـــرافةٍ وســـخريةٍ أيـــضًا ..، كوسيلتين من وسائل الإقناع .. والانتـــصار علـــى واقعٍ أكثر قسوةً ومرارةً : " لا تُخبري أحدًا بأنني أصنعُ أحجبةً للتيوس .."– ص43 .

فـــي " أربع عيون" ..يوصلُ الحاضرَ بالماضي، برؤية الطفل الطافح جسده بالبراءة تارةً ..، وحُلمِ الرجلِ الذي تثقل رأسَـــه الطمــوحات والأحــلام تارةً أخرى ..ليصير اللعب بالـــوقت، ومحاولـــة امتلاك الزمن الرؤيا والنسيج، دونَ أنْ يتخلى عن التشويق والمتعة كجسرين هادئين يسخرها القاص من اجل القارئ !!

في " طفلان " .. تنفلتُ الكلماتُ وهي تمتلكُ حريةَ المبادرة (إرهاصـــات القــصّة- القــصيدة)..، فهــذا الدفق العالي من المــشاعر، تــنظمهُ قدرة القاص على التشكيل ..، فتتحول القصّةُ إلـــى لوحة..، تكون خطوطها وألوانها هما الدليل والضوء، ليمرّ القارئ بهدوء وأمان عبرَ دهاليز الكلمات: " كادَ أنْ يحترقَ ألمًا.. أفـــزعهُ ذكر الموت.. أدخلَ يدَهُ إلى جيبه لمْ تعثرْ يداهُ على نقود ..ســقطت وصـــفة الدواء منهُ .. سحبتها الريح اللاهية بعيدًا.. ركضَ خلفها .. داسها برجلهِ ثمّ التقطها .."- ص58 .

5. القـــاص جمعة الفاخري مُتمهل في كتابته ..، صبورٌ علـــى أناقةِ حرفه، رابضٌ، بشكلٍ يدعو إلى الفخر والزهو، في إيقـــاعِ لغـــةٍ موحيةٍ..ومثيرة، إنّه يصغي لهمّه، ويتأمل مفردته المنحوتة بعذابات جسده ..، وهو قاصٌ يلجأ إلى التجريب دونَ

خـــوفٍ أوْ تــــردد، وتلك سمةٌ رائعة في الكاتب: " طوال حياتي وأنا أجرّب " ـ إمبرتو إيكو ..و" أنا تجريبي "ـ ميلان كونديرا.

فقصـــصهُ " رجل البحر، بنت الشمس، الوخزات، امعلاّ، حدث ليلة عرس، البطاقة الأخيرة " .. متفاوتة فنّيًا..، وهذا دليلٌ كاف على أنّه يجرّب أشكالاً متعدّدة ليرسوا على شاطئ الأمان، فهـــناك القـــصّة ـ اللقطـــة، والقـــصة ـ الموحية، والقصّة ـ الميكروسكوب، والقصّة التي تؤرخ لحالةٍ إنسانيةٍ .. ليسَت حالته وحده : " ذلكَ المساء عصرتْ السماءُ ضرعها الإسفنجي طويلاً حتّى فاضت كؤوس الأرض العطشى، وأضحى بإمكان المرء أنْ يـــرى صورته تتراءى بلمعان عبرَ غدران المياه، فيما تسترتِ الـــشمسُ خلـــفَ غيمة س حبلى منتفخة بإمعان .." ـ حدث ليلة عرس ـ ص75.

في قصّص " التلاشي، الصّرة ،الاحتراق ،لحظة وداع، حـــارس المخـــزن الصغير".. تدخلُ مختبرَ تجاربه، فتجده يـــتعامل مـــعَ شـــرائح مـــتعدّدة في هذا الواقع، لا لتعريتها والـــسخرية مـــنها فحـــسب، إنما معالجتها أيضًا، والإصغاء لهمومها، وحقنها بدفقة ضوءٍ للارتقاء بها..، فهم منهُ، وهوَ يـــؤرخُ بشفافية للحظةٍ هامةٍ وحاسمةٍ في حياتهم : " اهتزت

البندقــية بــيدي ودونَ أنْ أدري انطلقت الرصاصة فسقطَ مغــشيًا عليه، ولمْ استيقظ إلاّ ورأسي مُسند على فخذِ جدّي ليُخبرنــي بأننــي قتلتُ كبيرَ مسؤولي التموين والذي كانَ يرســلُ جــدّي فــي مهماتٍ مُفتعلةٍ ليعودَ من ورائه لسرقةِ المخزن .." ـ ص10.

فــي ومــضاته ـ قصصهِ القصيرة جدًا : (عملاق، كــسرة خبز، العصفور، المغني الصغير) .. يصيرُ المزج بينَ القصّة والقصيدة كأجمل ما يكون، بروح صافية، ونفس إبداعــي هادئ، تأخذُ قصّته إيحاء القصيدة، وتتكفل بحراسة عناقــيد همــومه .. وجراحاته ..، حروفها الملونة بفسفور وعسل المعاناة!!

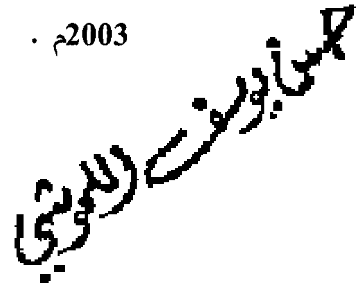
6. جمعة الفاخري .. يكتبُ قصّةً جيدةً !!

كلماتـــهُ التي لا تعرفُ الترهل والكسل والذبول، تقولُ إنّ قــصّتَهُ جديــدة ..، ويمكنُ أنْ تثير الكثير من الأسئلة .. فهيَ قصصٌ تنضجُ على أصابع واثقة .. صبورة ..

وغير متردّدة .. ولا بدّ أنْ تكونَ سؤالاً جديرًا بأنْ يحرك الدمَ في مفاصل ثقافتنا التي يغلبُ عليها السبات .. والتأجيل !!

(جمعـــة الفاخري) .. قاصٌ موهوبٌ ..، لذا أدعو إلى قراءتهِ بتأنٍ .. واحتراقٍ .. وحميميّة .. فإنّ قريحته تبدعُ ما هوَ جميلٌ ..، وكلماتهُ الدافئة تنبئُ بالكثير !!

2003م .



ثالثًا : الرواية

" الروايةُ هيَ تأملٌ في الوجودِ تتمُّ رؤيته عبرَ
شخصياتٍ خياليّة .. "

ميلان كونديرا

رواية " التبر "[1] ..

جدلية الحياة والموت !!

(1) التبر، رواية، إبراهيم الكوني، دار الأفاق الجديدة، المغرب 1991 الطبعة الثانية.

1- لظروف عمل قاهرة وجدت نفسي صَيْف 1977م في مديـنة "غـات " الليبـية، بـين قـبائل الطوارق ذات الشموخ والكبـرياء، وبـدلاً من أن أحيرهم في لغتي التي جعلها الشعر رقـيقةً وحالمةً حيّروني بلغتهم التي أسمعها لأول مرة، ولم أفهم منها شيئاً، لكن دفئها، ورقتها، وشاعريتها جعلتني أكرر إصغائي لكـل نـداء أسـمعه ،.. حفظت العديد من الكلمات..، وبحكم الصداقة التي ربطتني بهم، كأول عراقي يصل إلى ذلك المكان، اسـتمعت إلـى أشعارهم الجميلةِ.. وجدت نفسي - وتلبيةً لنداء العمـل - أعلـم أبناءهم قواعد النحو والإملاء، كذلك تحفيظهم لآيـات القـرآن الكريم ومعانيه، وأشرح قصائد شوقي وحافظ إبراهيم والرصافي ورفيق المهدوي وغيرهم ،.. ولم تكن صعبة فقـد كـان أبـناء وبـنات الطـوارق يتمتعون بذاكرةٍ صافيةٍ، ومغناطيسية لاقطة، ربما معلمهم الأول القرآن الكريم الذي كان يحفظـون مـنه آيـاتٍ كثيرةً، والثاني الصحراء منبت الذكاء والبداهة والتوهج .

2- إنني أعرف إبراهيم الكوني قبل معرفتي لمدينة غات التـي وُلد فيها هذا الروائي الكبير، نشأ ورضع حليب أصالتِها

وعــراقتِها..، إنه روائي الصحراء بدون منازع..!! أكدتْ ذلك العديد من الشخصيات الأدبية والثقافية العربية والليبية. وإنني ما رأيــت رجــلاً عاشقًا للصحراء بهذه الحرارة، وهذا العمق مثل إبراهيم الكوني!!

والصحراء - هذا الكتاب الهام الغامض لا أحد استطاع العــبث بأوراقــه، وفك طلاسمه ورموزه، والزهو بأبعاد لغته، وأخيلته، وتفاصيله، وضوء حروفه أكثر من هذا الروائي المتفرد الهادئ الذي لا يغريه إلا صخب الحروف، وركضها، وإيقاعها، وهو يفتح لها أبواب ذاكرته ،ومشاعل أصابعه لتهنأ وهي تُشيد بفــضل حرارته، وجنونه عوالمها ومدنها المضيئة، وهي ترسم خُطا العابرين والعشاق في الصحراء ليلاً..!!

3- روايـــة التبــر هي المفتاح الذهبي لأبواب عالم هائل غامض، مجهول وعظيم هو الصحراء ..!!

هذه الرواية الجميلة نسجت حروفها الليْلكية مدينة غات الليبــية الواقعة على الحدود الليبية الجزائرية، حيث تطل سلسلة جــبال أكاكوس.. أربع سنوات كاملة قضيتها في مدينة الأحلام هــذه، التقيت (الشيخ موسى) كثيرًا، أحد أبطال (التبر) وهو بطــل واقعــيٌّ، فقيه بالفطرة، خطيب وشيخ جامع، حافظ للقرآن

الكريم، وكلمته كالسيف من الصعب مخالفتها وعدم الامتثال لها، لــه نفــوذه لأنه المرجع الديني الوحيد في تلك المدينة ،.. في الصباح تجده في المدرسة القرآنية المكونة من فصل واحد يَحفّظُ أطفــال الطــوارق القرآن الكريم، وفي المساء، وكل يوم جمعة يُصلي بالناس، يقرأ الخطبة بعربية واضحة وسليمة ،.. وبعد أن تنتهي الصلاة وينفضُّ الجمعُ من المدرسين والعمال العرب يُعيد الخطــبة بالطارقــية، كــنت أسمعه وأنا خارج من المسجد في طريقي إلى منزلي الطيني في تلك القرية الصغيرة الهادئة والتي تسمى حتى هذا اليوم (البركت).

4–" إن الروائي يبني أشخاصه، شاء أم أبى، عَلِمَ ذلك أو جهله، انطلاقًا من عناصر مأخوذة من حياته الخاصة .." ميشال بوتور – بحوث في الرواية ص64 .

وها هي رواية " التبر " لإبراهيم الكوني تفتح لي هذا الكتاب – الصحراء، من جديد، وتعيد لي جمال ذلك الغموض الشفاف، وتلك الأســرار العمــيقة التــي لا تكون، ولا تليق إلا بهذا المكان.. وتلك الوحدة التي لها طعمها وفلسفتها، وأبعادها، وقداستها ..!!

رواية التبر حالة عشق صوفية للصحراء !! ربما لأنها العــالم الــذي لا يعرف التلوث، بل من الصعب تلويثه، وتغيير

معالمـــه، أو العـــبث بتفاصيله، ومصادر أحلامه، ومنابع الإلهام والأصالة فيه ..!!

و"أوخيّد " العاشقُ الفذ، والخاشعُ حتى الجنون في محراب هــذه المعــشوقة الفــريدة، التـــي لا تتكــرر، بل تلدُ الخصبَ، والقصص، والمآثر، والأحلام، والفرسان، وهي التي توُحي أبدًا.. ولا يوُحى إليها ..!!

والمعشوق ليست امرأة ..!! هي أكبرُ من امرأة.. وأكبر مــن المكــان.. ومن الزمان، هي أبعد من يوتوبيا وأعمق من الخيال.. وأكثر إشراقاً وسطوعًا من الحقيقة ..!!

(هــل سبقَ لكَ أْن رأيتَ مهريًا أبلق)- الرواية تُرى هل هــي مجــسدة فــي المهري الأبلق الذي حظي بكل هذا الحب، والعشق، والصلاة، والتاريخ.. ربما : "هل سبق لأحدكم أن رأى مهريًا ينافسهُ في الكبرياء والشجاعة والوفاء ؟؟ لا !!

هل رأيتم أجمل وأنبل ؟؟ لا ..!! لا ..!! لا..!!

اعترفوا أنكم لم تروه ولن تروه !!" - الرواية كل حرفٍ وكل كلمةٍ، وكل عبارةٍ تنطق بذلك، ولا مفر فقد توحد العاشقان، حتى صارا واحدًا، من الصعب أن يفترقا :

" عـــندنا يقولـــون إن المهري مرآة الفارس.. إذا أردت أن تنظـــر فـــي الفارس وتقف على خفاياه فتفقد فرسه، مهريهُ، عليك بالمهـــري إذا أردت أن تعـــرف صـــاحبه "- الرواية والاثنان في عـــشقها يـــؤلفان حكمة الحياة ..وأسمى الحِكم، وأعمقها تلك التي تورثها الصحراء، والرواية تحفل بالكثير منها :" الحياة هي الصبر" و" الصبر أيضًا إلهُ العطش" و" الصبر تميمةٌ خالدةٌ في الصحراء " و" إذا وهبك الله الصبر في الصحراء وهبك كل شيء"!!

5-هو وصحراؤه جسد واحد.. هو (وأبلقه) روح واحدة تـــتداوى بالصبر (تميتمُها) وتحيا على ضوء الأمل المشحون بالجـــنون الضروري (فماذا يضر المخلوق أن يكون مجنونًا)، تطهـــرهما دموع الصدق والنقاء والحيرة، فأما أن يعيشا معًا أو يمـــوتا معًـــا، تلك بعض سطور الكتاب :" إذا اختلط الدم بالدم، واتحد الجسد بالجسد ختم العهد بالأخوة الأبدية " - الرواية .

وكان لابد من الصلاة والدعاء رمز الطهارة :

"يا ربي هل سيموت ؟؟ ماذا أفعل وحدي إذا ذهب وتأخذه مني هكذا بين يوم وليلة وتتركني وحيدًا، ماذا سأفعل في النجع المـــوحش مـــع هؤلاء الوحوش بدون الأبلق ؟؟ لا تأخذه مني يارب ..!!

- إذا كان ذلك ضروريًا فخذني معه.. لا أريد أن أبقى.. أنا يتيم.. أنا وحيدٌ.. أنت تعرف.. خُذني.. خُذنا معًا .." - الرواية ..

6-" النعيمُ مستحيل " - الرواية !!

تلــك إحدى حِكم الصحراء، وفي كلّ ذرة رملٍ من ترابها الذهبي درسٌ، وأعمق بكثير من أضواء المدن البلهاء التي تتخللها المــنفعة، وجــرائيم المادة القاتلة، والعلاقات النفعية والطارئة، في غــرفِ الرطوبة والظلمة والدخان والثرثرة .. ذلك هو رأسمال المــدن - القهر والغربة، ورأس مال الصحراء - القيم والقداسة، وكنز الروح - الخيال، الحرية وموت الضجر.. تلك هي الحقيقة التي تنطقُ بها الرواية كأجمل وأروع ما يكون: " ولكن الحقيقة لا تمثل أمامنا إلا بعد فوات الأوان "- الرواية ..!!

7- في الرواية عشقٌ من طراز خاص !!

تجــسده أصابع إبراهيم الكوني بلغةٍ مكثفة شفافة، مُبهرة حقًــا، ربمــا لأنه غناء الروح التي ارتفع بها ظمؤها إلى أعلى درجات الخلود ..!!

وأكثــر أنواع الضعف شيوعًا وقبولاً هو الضعف الذي يخلفــه العــشق، لكنه قوي في أناشيده، وابتهالاته، وحالاته التي

حولـــتها التقنية العالية لدى الروائي إبراهيم الكوني إلى مشاهد شعرية لا تدعو إلى الملل:

" لا تسخر مني فأنا مخلوق ضعيف.. ماذا تظن ؟ الفارس أيـــضًا مخلـــوقٌ بـــائس.. يأكل نعله عندما يُشرفُ على الموت جوعًا.." ـ الرواية .

وأكثر الناس تضحية هو العاشق، ومقابل لحظات عشقه الـــصّوفية الّتـــي اســـتوجبتْ وضوءًا بالدمِ، والدموع، والحرقة، والانتظار ـ يتنازل عن ملكية، الأرض والأشجار والكواكب :

" ولن تملك قلبَ الحبيبَ إلا بفقدانِ قلبك " ـ جلال الدين الرومي ـ المثنوي .

وليسَ ثمّة شخص جدّي أكثر من العاشق : " فكرة الحّب دومًا مرتبطة بالجدّ "ـ ميلان كونديرا.

إذن مَـــن يـــراهن ضد حالة العشق هذه فهو في خسران وعـــار، فالعاشق عنيدٌ أيضًا، ولا يقبل المساومة على شيء هو كل حياته، وغيره يعني السجن الأبدي " سأقاتله وسأسترد الأبلق بالقوة، إذا غاب الحياء فالقوة هي قانون الصَّحراء "ـ الرواية .

8- فـــي روايـــة " التبر " استخلاص لحكم الحياةّ!! وقد

وجدت هذه الحكم مكتوبة على الرمال الذهبية وعلى ضفائر تلك الـــشمس الحارقة والصلوات " لتانيت " وعلى وجوه الساهرين تلـــك الليالي الطويلة الصافية مراهنين على الغد الذي تثمر فيه شـــجرة الأصـــالة، والأخـــلاق، والقيم، أناس الصحراء - أبناء الصبر المنسيين " مائة مّرة قلتُ لكَ اصبرْ هذا هو الحجاب، إذا أردت أن تعيش في الصحراء الصّبر صلاةُ.. الّصبر عبادةُ " و " الصبر هو الحياة " - الرواية .

9- في رواية " التبر " صراع بين نقيضين لكل منهما أســـلحته الخفـــية والظاهرة.. بين المادة " الذهب " الزائلة، وبـــين القـــيم الخالدة الباقية.. وبقدر ما في الأول من لعنةٍ وشـــؤمٍ فـــي الثانـــي الخيـــر والعمق والقداسة، وفي الأول الحضارة عبادة الأصنام الذهبية، وفي الثاني هي تقديس كل ما يتّوج الروح ويخلّد غناءها، وينتصر لنقائها، ... ذلك هو جدل التبر الرائع .

أخـــرجَ مـــن صندوق الحديد جرابًا جلديًا قديمًا موسومًا بإشـــارات السحرة، عرف منه بفنجان الشاي مرتين فتلألأ التبر وأعمـــى العيون، أشعة الغسق الصفراء انعكست على الحبيبات الصفراء فتلامع الذهب .

- قال أوخّيد : لا أعتقدُ أني سأحتاج إليه، يقال في قبيلتنا إنه يجلب اللعنة " و " يقُال أنَّه ملعونُ ويجلب الشؤمَ " الرواية.

10- فــي " التبر " سعي حارق إلى الحرية وانتصاراتها بل خلقها والدفاع عنها كرؤية ..!!

الــصحراء أم الحــرية ،... وامتلاك " الأبلق " أقصى درجــات الحــرية، والحياة بدون حرية مقبرة ،... وفي عينيّ الأبلــق ضــوء لا يشبه شيئا مُقدسًا كالحرية.. كالحياة، والذهب سجن ولعنة، وعار وبلايا متلاحقة، وموتٌ أيضا :

" لم يبعْ أحدًا سوى قيوده، تخلي عنهم طائعًا كيْ يسترد حياته مع الأبلق، كان يسعى لأنْ يخلص.. يتخلصَ .. يتحرر"- الرواية .

وأوخــيد الحــر والعاشــق سليل " إخنوخن " العظيم لا يرضــي بالعار، ولعابه لا يسيل لمرآى الذهب " وسخ الدنيا "، فكــان لابــد أن يعرف موضعَ قدميه، وينتبه لصلاته، ويتشبث بحِكــم، ووصــايا الــصحراء، يقُدس قسوتها وظمأها، ووحدتها وأسرارها خير له من أن يلوث بعار الذهب ..!!

وســعيه لقــتل " دودو " يعنــي وجوده هو، تحرسه عينا "الأبلق " المضيئتان ككوبين محتفلين ببزوغهما الطفو لي .

" لـــم تمهلـــه الرصاصة لينطق، ليقول كلمته، امتزج الدم بالماء في العين، موجات الماء الأحمر امتدت واتسعت وابتلعتْ صفاء الماء ..

فـــتح صـّــرة التبر وألقي بها في العين، فوق المكان الذي غابت فيه الجثة . قال

– وهذه هدية الزرافة !! " – الرواية

والخـــيار بـــين الأبلق – الحياة، والذهب – الموت ليس متكافئًا أبدا وليس عادلاً، فالأبلق هو الصديق الأبديّ والذهب هو اللعنة إلى الأبد .

" الأبلـــق الآن هـــو صديقه الوحّيد.. الأبلق الآن لهُ وهو للأبلق لن يفرقهما إلاّ الفناء.. بل حتى الفناء لن يفرقهما، سوف يذهبان معًا سيعودان إلى أصلهما معًا " و " الذهب يعمي الجميع" و " الذهب سبب كلّ اللعنات " – الرواية .

11– "التبر " جدلية الحياة والموت ..!!.

" لا تودع قلبكَ في مكانٍ غير السماء " الرواية :

تلـــك هـــي لغـــة الجـــسد الخاشع في محراب من يحب ويهـــوى..!! لغة القداسة، لغة الصحراء التي تبزغ شمسها وْهي

تشق السحب بعناد وتتفتح لها زهرة عاشقة، مثقلة بأغاني ألوانها وأريجها، لغة السكون.. لغة الوجود.. لغة الحياة ..!!

مثلما انتقمت " تانس " من ضرّتها، يمثل خدم " دودو " بجــثة " أوخيد " سليل إخنوخن العظيم، ضمير الصحراء..، موت بهذه الصورة القاسية.. البشعة لا يخلو من قدسية أيضا حــين يروي دمهُ تربةَ من يحب وتتوزع أشلاء جسده الناحل عشقًا، لتكون سمادًا للشجر، وأجنحة ذهبية للطير، ومادةً ثريةً للقصص والحكايا القادمة..، والمنار لمن سيولدون على آيات هذا الحب، والنبوءة للعشاق المنسيين ،.. وحين يصير غيابه بداية الحياة :

" قــيّدوا يديــهِ ورجليهِ بالحبال، جاءوا بجملين، شدّوا اليد اليمنـــي والــرجل اليمني إلى جمل، وشدوا اليد الآخر والرجل اليسرى إلى الجمل الأخر ..." ـ الرواية

و (التبر) صورةُ الموتِ في الحياة، والحياةِ في الموت !!:

" الكائن انشطرت الظلمة بالقبس ـ المفاجئ، ضرب بيت الظّلمات زلزال، أنهار الجدار الفظيع بضربة سيف النّور فتبدى الخفّي "ـ الرواية .

12– هكــذا عندما تشعُر بالمتعة وأنت تقرأ رواية جميلة مــثل " التبر " تجدُ نفسك تصافح العالم بالكلمات، وتنتصر عليه مــن خــلال الكلمات أيضًا وهذا يكفي كاتبًا وروائيًا كبيرًا مثل إبراهيم الكونـي ..

2002/1/6

" حلقُ الرّيح[1] " ..

المدينةُ الحُلم تَردمُ ذاكرةَ التّاريخ !!

(1) حلق الرّيح، رواية، صالح السنوسي، دار الهلال، 2002 – مصر / القاهرة..

" الروايةُ تقول ما يمتنعُ التَّاريخُ عنْ قوله ."

كارولس فوينتس

1- منذُ صدور روايتهِ الأولى " متى يفيض الوادي" عام 1980 ومــرورًا بأعمالهِ الإبداعية "لقاء على الجسر القديم " 1992، وحتـــىَّ "ســيرة آخر بني هلال " 1999 و "حلق الريح" 2002، والروائـــي د. صالح السُّنوسي يعلوُ عندهُ النبضُ القومي، ويبرزُ الهــمّ العروبـــيّ بوضوح كبير، بلْ والرؤيا والنسيج الَّذي تبنى علــيه أعماله الروائية.. وأنَّ هذه النستولوجيا العالية لكلّ ما هو عربي، ابتداءً من صفحاتِ الجهاد التي سطّرها وخلدها الأجداد، وانـــتهاءً بالمـــشاريع الوحدوية التي قتِلت وهي في المهد، هي العـــصب الحـــي، والـــشريان الـــنابض الذي يُغذي كلّ أعمالهِ الـــروائية، التـــي أثـــارت، عـــند صدورها، الكثير من الأسئلة والنقاشات على امتداد السَّاحة الثقافية الليبية و العربيّة .!!

2- أمّـــا "حلق الريح " فهي حكاية نابضة بهمّهِ القومي، فارسُـــها خـــيالٌ راقٍ، تـــستلهم الموروث بشكل فانتازي ممتع، وتعتمد على الرمز الشفاف المُثير، وتُحفّز، وتفتحُ الشَّهية للقراءةِ، دونَ الـــشعور بالملل والضَّجر، وكأنَّ أبطالها، وزمنها، ومكانها

قـــريبون مـــنكَ، وذلـــك لأنَّ التُربة التي فجّرت هذه التساؤلات بحميمـــية كبيـــرة هي تربة واحدة من صُنع الوجدان الصَّادق، والضمير الحي .

"حلـــق الـــرّيح "، هـــي ســـيرةُ العروبة الآفلة، والقومية المُغيّبة،.. هي تربة الوطن الخصبة، فيها من الزرعِ والإنسان، والـــشَّمس، والـــنَّخل، والمحبّة، والأحلام، والتعاويذ، والأحلام ما يَفُوقُ ما يمتلكهُ العالمُ أجمع ببحاره، وأنهارهِ، وصحاريه ..!!

" حلق الرّيح ".. هي حُلُمُ الأرضِ العطشى، وزرقةُ البحر الوحيد المُهمل، هي دُعاء الشجرة المهمومة بسُخرية الرّيح.. هي ضـــفائر الشَّمس الذَّهبية المرُخاة على المدن العربيّة المستغرقة في نومها الطويل.. وهي الطموحُ المؤجل، والحلم المسروق من أعيننا المتعبة الهلكى، ..هي الماضي الجريح، والحاضر الرّتيب الخانـــق، والمـــستقبل الأكثـــر غموضًـــا، وخوفًا، ورعبًا.. هي ابـــتهالات الأطفـــال الَّذين ولدوا ولم يجدُوا الصَّباح النديَّ الَّذي يتـــسعُ لأغانيهم، وأحلامهم، وخطواتهم، هي عُريُ الوطن الَّذي جرّدتهُ الفُرقة من دفئهِ.. وسقفهِ العظيمين ..!!

3- "حلـــق الرّيح".. روايةٌ تقوم على الخيال المبدع ...!!، ولأنَّها من نسيج واقعٍ قاتلٍ فهي ليست مُملة، ويجدها القارئ عالية

الـــصوت والنبض، وأحيانًا يلجأ الراوي إلى الصرَّاخ الجارح الذي تحوله التقنية الروائية إلى شتائم ضرورية، يمكن أن تصنّفها شعريًا ضـــمن الـــشتائم الملائكية و أحيانًا ساخرة، لأنَّ الواقع الذي تنقلهُ الـــرواية مـــاضٍ مـــؤلم، مُضحك مُبكٍ، يصبحُ الأبطال سريعين.. طارئـــين، وأحـــيانًا زائلين، يختفونَ وراء الأحداث المتتابعة، وتظل أســـماؤهم " تؤثّـــر في التّاريخ " حسب تعبير سارتر، وربُمَّا تجدّدهُ بكـــتابةٍ هـــي (أفعال)، نسيجُها ومادتُها الدَّم .. والحرقة.. والشوق السَّجين.. و" الريحيون " عصبُ الرواية النابض المتَّجدّد، هُمْ عربُ الأمسِ واليوم، فالملامح والصور والأحلام واحدة، بدأوا جادّين في كـــتابة الـــتّاريخ المشرّق الخالد وهم يقاومون أعداءهم من الترك والـــروم وأشـــباهم دفاعًا عن قدسية أرضهم.. وأخلاقهم.. ودينهم ينتـــصرون عليهم بإرادةٍ قوّيةٍ، وإيمانٍ ثابت، يستظلون براية الحقّ الخفّاقـــة، لتعترف الدُّنيا شرقها وغربها بمجدِ العرب، وتقدّم الممالك طقـــوس الطاعـــة والـــولاء والاحترام لأصحاب السَّيف والدّرع، والمبادئ، والتاريخ والحضارة :

"دارت الدائرةُ على التركِ، فلمْ ينج منهم سوى ثلة صغيرة مـــن الفرســـان، تركهم أبوقيلة يعودون ليخبروا والي الترك بما رأوهُ وغنم الريحيون من العتاد والخيال بما ضاقت بهِ نجوعهم ومسالك حلق الرّيح .." ص 6.

وانتهوى الريحيون فرسانُ الأمسِ بمُسلسلات متكرّرة من التمــزّق والفُرقة والثَّارات القديمة ـ الجديدة فضعفوا وصاروا يؤتمرون بأمر الأجنبي الطامع حتَّى الضعف والخجل والبكاء : "ظــلَّ الــرّيحيون عبر القرون وتعاقب الأجيال ينتظرون عودة رجُــل مــن آل الأعــرج إلـــى حلق الرّيح ليقودهم إلى العزّة والمجد.. "ـ ص 8 .

4ـ و"الحولــيات الرّيحيّة ".. المُعلقات الَّتي لم تكتب بماءِ الذهب.. ولا بالدمِ، إنَّما بنزيف الأحقاد، والثارات والكراهية هي خلاصة هذا المدّ والجزر في الحياة العربيّة.. والأرض والرّوح العــربيّة المحُــبطة التـــي غادرتهـــا شمس المحبة.. والألفة.. والكبــرياءِ والــشموخ، وخيمت الظّلمة.. والفرقة.. والصَّمت، والمهادنـــة والــتخاذل، وسَــادت الكراهية بين التربة ونسيجها، والنَّهــر وضـــفتيه، والشَّجرة وأغصانها ،و الإنسان وأحلامه : "غيــر أنَّ الحولــيات الــرّيحية لا تتحدّث بالتفصيل سوى عن محاولـــة واحـــدة قامَ بها مّنْ تصفهُ الحوليات بصحاب البرنس الأحمر، ولعل مغزى هذا الاهتمام يرجعُ إلى أنَّ مجيء صاحب البــرنس الأحمر إلى حلق الرّيح نتجت عنهُ وقائع وأحداث تُعد من العلامات البارزة في تاريخ الرّيحيين .."ـ ص 9 .

5- قمـــر مـــراد - الفـــتاةُ المدينة - الحُلْمُ..، حُبلى بالشَّمس والأمان.. والألفة.. والمحبّة.. والرجال.. والذرية التي تصلّي للأرضِ ..!!

"رزق مُـــراد بـــن دلّلوز بنت أسماها قمر فكانتْ آية من آيات الجمال التي أخصَّ الله بها حلق الرّيح " ص 20 .

أرادها الروائي " صالح السنوسي " أن تضيف لحلق الرّيح - الأرض طعمـــا، وعمقًـــا، وخلودًا، لكن في الجمال أيضًا "يلتقي الشاطئان، وتتجاور المتناقضات " - بتعبير دوستوفسكي..!!

وقمـــر مراد - الجمال - والحلم - والأرض من رحمها العربي الدافئ يلدُ الفارسُ الحاملُ أنفاس الأرض، وعبق التاريخ، وآيـــات الـــوحدة ..والألفة.. والتضامن، خطواتهُ تتسع كحقول الـــشمس، وعيناه قنديلان بعيدا الضَّوء، روحهُ كالمدى، وكلماته تُصحّح التّاريخ !!

وســـليمان الأعرج.. وآل الأعرج المظلة.. والقيادة التي لا تخـــون، تسهرُ وهي تمنح الأرض وابلاً من الدّفء والأمان والمحبّة ،وتشعلُ الأرضُ حماسًا ونارًا وقتالاً لو اُصيبت شجرة بأذىً .. أو تُهدّدَ نهرٌ بالجفاف..

" قالت الحاجة سعدة كنتُ أول امرأة رأت سليمان الأعرج عائــدًا مــن جُزر الكهرمان، فأطلقت زغرودة تردّدَ صداها في جنــبات حلــق الرّيح، ولا يساورني شك في أنَّ عودة سليمان الأعرج كانت في عام الرّيح الكبير "- ص 4.

و"بنو زيغون " هُمُ النبضُ العربي.. وربَّما نهاية التَّاريخ أو بدايــته التي لا يشرع بها فعلاً إلاّ على صوتِ المحبّة وهي تُــزفُ لأرض الريحيين..، وهزيمة جيش الكراهية الخائر وهو يرحل منكسرًا إلى الأبد، متوّجًا بالعار والسُّخرية تغسلُ خطواته دمــوع المخلصين.. والمنتظرين بزوغ الشَّمس الفتية فوق هذه الأرض : " استوى بن زيغون على عرض الإمارة وأمرَ بكتابة تاريخ جديد "- ص 151 .

6- و" حلق الرّيح " و" قمر مراد " و" سليمان الأعرج" و" بنو زيغــون " وقلــوب الــريحين جميعا، والفرحُ المبارك بمطر المحبّة اللؤلــؤي، والانتــصارات المؤيدّة بالدماء الزكية، والزغايد، والولادة، والمــوت، والحــروب الطارئة، كلُّ ذلك من معالمِ المدينةِ الواحدة ،، والتَّاريخ الواحد ،، والمصير الواحد كلّ ذلك كتاب شموخٍ واحدٍ لأبناء هذه الأمّة الَّتي تجاوزت الأيام الحالكة الصَّعبة، فكان سليمان الأعرج وبنو زيغون الرمز، و"حلق الرّيح " ملحمة الصَّبر والجهاد .!!

أمّا لقاءُ سليمان الأعرج بجنّات بن زيغون في الرواية فهم سبب : بل طريق آخر للتواصل والاستمرار والحب، فدماءُ حلق الرّيح لابدَّ أنْ تنتقل لشرايينها الأخرى، فقط من أجل حلق الرّيح الكبرى، التي يجمعها الدمُ والتّاريخ، والأرضُ والهدفُ الواحد .

"ومـــا إنْ وقعَـــتْ عيـــنا سليمان الأعرج على جنّات بن زيغـــوُن الشقيقة الصُّغرى لعبد الحميد بن زيغون حتَّى وقع في هواها "– ص133 .

"ولم يتبق شيخٌ من مشايخ الريحيين إلاّ وتزوجَ من امرأةٍ حضرية من مدينة البحر مهما كانَ عدد زوجاتهِ في حلق الرّيح وذلك أسوةً بالأمير سليمان الأعرج "– ص 134

7–و"حلق الرّيح " الَّتي أنجبت سليمان الأعرج.. وقمر مراد، وبلقاسم عمر أبو قيلة.. وحتَّى بن زيغون ... أرادت بهـــؤلاء جميعًا أن تردمَ ذاكرة التَّاريخ، وانَّه ليس سجنًا كما يـــرى الـــبعض، وإنَّمـــا هو ذاكرة ممغنطة برائحة الأرض وخُطـــى الفرسان، يُمكن أنْ تستيقظ كما العشب وهو يبتهج بالمـــاء والنـــسمات، وهاهُمُ الريحيون بأصابع عربية واثقة يعـــيدُون كـــتابة الـــتَّاريخ، وبقلوب نابضة بإشراقةِ الشَّمس يفتحُون كتاب الحُبّ،..

ذلـــك هُو النبضُ الإنسانيّ الحيّ الذي يسري في سطور هذه الرواية الجميلة.. !!

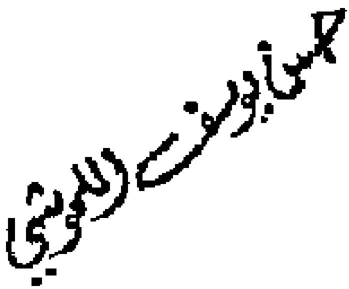
الروائـــي د. صـــالح السنوسي كانَ الراويَ.. والشاهدَ.. والعاشـــق لتُربة " حلق الرّيح " المفتوُن.. والمجنون بجمال قمر مـــراد المرأة – الحلم، والمدينة – الحُلم..، هذه التقنية الروائية الـــراقية مـــن مظاهرها هذا الشكل الملحمي Epic الذي اشتغل عليه الروائي بلغةٍ تلقائية، بسيطة، ودافئة .

الروايةُ بأحداثها، وأبطالها، ومفاجأتها أرادها صالح السنوسي أنْ تجرح، وتحكَّ على الجرح معًا، أنْ تتذكّر، وتجدّد الذكرى، تقترحُ وتـــصحّح، وتكتشفُ إذا كان الروائي " مُكتشف للوجود " كما يقول " ميلان كونديرا " فيها شوقٌ إلى الماضي، وشوق أكبر إلى المُستقبل، حتَّـــى وإن بـــدا غامضًا بعيدًا، فيها فَخرٌ مُبرَّر بالماضي، فيها حسرةٌ حارقـــةٌ علـــى حاضـــر ساكن ميّت، مُهادن، وفيها تشوّق للمستقبل الأجمل أقرب من رثاء الحاضر والتحسّر عليه.. !!

هـــذه القوة الإبداعية Creative quick، وهذا الخيال الـــسينمائي المقـــنع كـــان لهما الفضل في ردم ذاكرة التّاريخ، وتشتيت حروفه المرتكبة بإضافة صفحاتٍ مشرقة خطتها أصابع الشَّمس، وأدمع الصَّباح، وتنهدات الرَّبيع المؤجّلِ.. !!

" لقــد كـــان ســـليمان الأعرج هو الرجل الَّذي نفضَ عن مـــضارب الـــريحيين غـــبار قرون من الذّل والخوف من الترك، واقـــتحم بهـــم كلَّ ما كانوا يخشونه ويجهلونه خلفَ جبالهم العالية ولكـــنَّهُ في الوقت نفسه أخرجهم من جغرافية حلق الرّيح وأدخلهم إلـــى تاريخ مدينة البحر الذي لم يلبثوا فيه طويلاً حتَّى استبدلهُ بنو زيغون بتاريخ آخر خرج منهُ الريحيون وحلق الرّيح" – ص51.

8-" حلـــق الـــرّيح " روايـــة تنتـــصر لتعبِ الإنسان العربيّ..، تبعثُ على الأمل، وتهاجم اليأس " صديق الورود الذابلة " في عُقر دارهِ، لتُميته في سرير آثامهِ وذنوبه.. لتُحيي فـــي المكان الألفة.. والمحبّة.. والتضامن على إيقاع المطر العربيّ القادم.. الدافئ ..!!



" متاهةُ الجسَد "

متاهةُ الحياة !!

" الروايةُ الجيدةُ تبقى " أندريه مورو .

عـــبارةٌ في غايةِ البساطةِ، رُبّما تردُ على لسانِ الكثيرين بعدَ قراءتهم لروايةٍ تخلبُ قلوبهم، وتشعرهم بالمتعةِ، بلْ تمنحهم جناحـــينِ أســـطوريينِ للطيرانِ في عوالم الخيال، ومدنِ الكلمةِ، وبحار الحروف، خارجةً بهم من دهاليزِ الواقعِ المُرّ،.. وأنا أحدُ هــؤلاءِ (المرضـــى) بالقـــراءة و(المعافين) بالقراءة.. بلْ الرابــضين بظمــأ في إيقاعِ كلّ كلمةٍ تنتمي للإنسانِ.. وتشعل الحرائق لأجلِ حريتهِ ووجوده ومصيره..، شعرتُ بحكمةِ عبارة ـ أندريـــه مـــورو، وصدقها وتأثيرها، وأنا أقرأ رواية " متاهة الجـــسد "[1] للروائي الليبي الكبير خليفة حسين مصطفى الذي تفضّلَ، مشكورًا، بإهدائها لي معَ روايتين أخريين " ليالي نجمة " بجزأيها و " الأرامل والولي الخير " ..!!

قراءة رواية " متاهة الجسد " مكنتني من أنْ أضيف شيئًا لعـــبارة ـ مورو وهو لصالح الروائي خليفة حسين مصطفى.. وأقول أنّهُ يؤسّس للرواية الجيدة والشفّافة و" الرواية الشفّافة هيَ

(1) مـــتاهة الجسد ، رواية، خليفة حسين مصطفى، منشورات مجلس الثقافة العام، ليبيا 2006 م .

الفـضل " ـ كما يعبّر آيريس مردوخ . تأكد لي ذلك من خلالِ قراءتي لرواياته الأخرى الرائعة ..!!

" متاهة الجسَد " .. هيَ متاهة الحياة !!

" هُمـا الاثـنان بلا شك، يعانيانِ من محنة واحدة، محنة الإحـساس بالعدمية والتفاهة عندما يكونُ الإنسان مخلوقًا غير مرئـي، وهوَ لا يزالُ على قيدِ الحياة..، مخلوقًا بلا صوت، ولا ظل، يتنفسُ فائضَ الأوهام والسقم " ـ الرواية ص10 .

تلكَ هيَ ملامح حياة بطل الرواية عمر عبد الحميد.. أحد المطحونـين والمغيبـين بفرضياتِ الواقع المُرّ، وإكسسوارات الحياة وزخارفها، وهو ابنُ الواقع، حتّى لوْ تعاملَ معه الروائي كمتخـيل، لكـنه شريحة من الحياة، والصورة الفكرية للبطل و نمـوذج الشخـصية النمطـية التي انبجست من رحمِ الأزمنة الجهنمـية، داسـتهُ عجلاتُ زمنهِ الشرس، ولكنه أراد أنْ يكون أشرس من زمنه، رغم الطيبة والسذاجة والعفوية البادين عليه..، شراسـة الزمن صنعت منهُ إنسانًا آخر.. متسلحًا بالحلمِ " الحلمُ يُنـسّقُ الحياة " ـ غاستون باشلار.. " لقدْ نهضَ من أول خيوط الـضوء مـتجاوزًا بذلكَ الزمن العابث الذي كانَ يراوغه فيما مضى، ثمّ يزوغُ منهُ هاربًا بسرعة الرياح، فلا يتمكن من اللحاق

بــه "ـ الرواية ص5.. وربما كانت شراسة زمنهِ تشعرهُ بالألمِ المــصحوب باللــذة " لكلّ نشاط وانفعال علاقة مباشرة أوْ غير مباشــرة باللــذة والألــم "ـ كما يقول جورج سنتيانا في كتابه "الإحــساس بالجمــال " ص164.. وكــذلك المتعة والرغبة في الاســتمرار والإصــرار أيضًا على تحقيق ما يريد..، حتّى لوْ صــدأت قدماه من كثرة الصعود والنزول في المباني المضيئة والمظلمــة، الحديــثة والمتآكلة، البهيجة والمقبضة..، بحثًا عن وظيفة .. أيّ وظيفة تمنحه معنىً للحياة والوجود . " بالرغم من أنــهُ بكّــرَ بالحــضور إلى مبنى الشركة العامة لخدمات البيئة ومكافحــة الــتلوث، طافحًا بالحيوية والبهجة في يومه الوظيفي الأول، وكأنّــهُ على موعدٍ غراميّ، فهوَ ما زال غير مصدق من أنّهُ سوفَ يشغل بالفعل وظيفة جنائزية بحكمِ طبيعتها، وما كانَ يفكر أصلاً بأنّ وظيفة كهذه يمكنُ أنْ توجدَ على أرضِ الواقع، وأنْ يتولاها هوَ بالذات وكأنّهُ حفّارُ قبور .."ـ الرواية ص 23 .

" مــتاهة الجــسَد " .. لحظــة الــصراع المــضني بينَ السايكلوجي والتاريخي !!

عمــر عــبد الحميد.. شخصية قلِقة.. مرتبكة.. يريدُ أنْ ينتــصرَ علــى واقعــه الــذي يمطرهُ في كلّ لحظةٍ بوابلٍ من

الإحـــباطات والانكـــسارات.. وهو يتجاوزها بالأمل والحلم..، وهُما حقٌ مشروع له، ليبدو من خلالهما إنسانًا لا يعرفُ اليأس والتقهقـــر رغمَ قسوة واقعه: " وكأنّ المدير العام قدْ أصدرَ بحقّهِ حكمًا بالأشغال الشاقة معَ أنّهُ غير مذنب " و " أنّهُ سوفَ يقضي حكمًا بالسجن الانفرادي في هذهِ الزنزانة الكئيبة، في عزلة عن أنفـــاس الحياة وصخبها، وتياراتها المتقاطعة إلى أنْ يبلى جلده ويتساقط في نتفٍ صغيرةٍ "ـ الرواية ص24 .

الروائـــي خلـــيفة حسين مصطفى لمْ يكتفِ برسمِ هذهِ الصورة المأساوية للبطل، وهي ليسَت كاريكاتيرية، كما أراد أن يرســـمها له الآخرون "هوَ يجلسُ وحيدًا على مقعدٍ منعزلٍ في حديقـــة الكلـــية تائهًـــا "ـ ص29..ولمْ يسعَ أيضًا إلى تتويجه بهمـــومه، ليحفـــرَ اســـمه في كتاب الأرض التي يعيش عليها فحـــسب، بلْ أرادَ أنْ يظهر من خلاله السخط على هذا الواقع الـــذي يقسو على شابٍ حالمٍ مفعمٍ بالحياة ومتعلم " امتياز مع مـــرتبة الـــشرف".. وطمـــوح..، وحلمـــه الأكبـــر أنْ يسابق الـــشمسَ..، لوضـــع أبجدية لائقة بوجوده..، ويضيف للحياة شعاعًا..، وللتاريخ سطرًا مضيئًا..، وللأرضِ دفئًا..، وللوطنِ تاجًا من الدمع .. والفرح .. والأمان .. كإنسانٍ أرّقتهُ الحريةُ

وهــو فـــي رحم أمّهِ..، الروائي يضيئهُ من الداخل عبر تقنية عالـــية.. ومـــشاهد ممغـــنطة بسحرِ لُغةٍ روائية تخلدُ بإيقاعها الفـــسفوري وشفافيتها "وما هذا الفنّ إلاّ سبر أغوار هذا الكائن المنـــسيّ " ـ مـــيلان كونديـــرا.. و" الرواية استكشافُ الحياة الداخلية للإنسان" ـ ريتشاردسون .

" وأنّـــهُ يـــرى في هذهِ الوظيفة برغم تفاهتها حبلَ النجاة الـــذي لا يجـــبُ أنْ يفلتَ من يدهِ في كلّ الأحوال، ومهما كلّفَ الأمـــر، علـــى الأقل حتّى يتعود الاعتماد على نفسهِ في كسبِ رزقهِ، فلا يعيش عالةً على أحد "ـ ص27 .

الروائي خليفة حسين مصطفى يُعادلُ في " متاهة الجسَد" بـــينَ السايكلوجي والتاريخي..، فكلاهما يُبرّرُ الآخر.. بأسطر جـــادت بهـــا أدمع البطل عمر عبد الحميد، وخلدتها حماسته.. وشجاعته في مواجهة الواقع للانتصار عليه !!

"متاهة الجسَد".. جدلُ الموتِ في الحياة، والحياة في الموت !!

إنّها صورة بارعة للصراع المشروع من أجل الحياة " والرواية تُنسَبُ للحياة أكثر من أيّ فنٍّ آخر"ـ أندريه مورو في " الإنـــسان العابـــر والأدب " ..وقبول البطل عمر عبد الحميد لوظيفةٍ يضحي من خلالها بعلمِ الكيمياء وآفاقها وفلسفةِ رموزها،

ويرضى بالحياة داخل ملفات الموتى.. ليسَ موتًا على أية حال، بلْ هو بداية الحياة..، حتّى لوْ بدت البدايةُ مؤلمةً.. كئيبةً.. غامضة.. وثقيلةً على النفسِ..، وجالبةً لصدأ الأحلام : " ومعَ تصاعد إحساسهِ بشؤمِ وظيفته، فقدْ استغرقهُ العمل بهمةٍ في تهيئة الحجرة كيما تكون لائقةً بهِ وبضيوفهِ من الموتى الذينَ يحتاجونه لكيْ ينـاموا بهدوءٍ في ملفاتهم السميكة دونَ أن يتعرضوا على الأقل لهجماتِ الفئران .."- ص32.

وكأنّ الروائي – خليفة حسين مصطفى يشكل بطله على الأمل..، حتّى لوْ بدا مزخرفًا.. ليعيدَ على مسامعه مقولة مكسيم غوركي : " يُهزم الإنسانُ لكنّهُ لا يُقهر " .. وهذا ما بدا عليه البطل عمر عبد الحميد فعلاً.. !!

الموتُ حالةٌ على الورق.. في الملفات.. في أحاديث القهوجي – مسعود النقاز.. في مفارقات الواقع..، لكنّ الحياة – الحلم أقوى من الموت..الشعور بالسعادة أقوى من جحافل الحزن واليأس : السعادة تساوي الحرية.. الحرية تساوي الشخصية " – ستيوارت مل / الرواية اليوم ص24 .. وهذا بالضبطِ ما يسعى إليه بطل الرواية.. اللاعمل قيدٌ.. والحياة عالة على الآخرين سجنٌ وموت.. والعمل مهما كانَ نوعه

حـــريّة.. والحـــرية تبني الشخصية وتجدّدها " ضعْ كلّ طاقتك لتبقى حرًا " – أندريه جيد.. وبينَ مقاومة الموت بأسباب الحياة، يفتحُ عمر عبد الحميد أمامَ عينيه نوافذ، لا بدّ أنْ تكونَ مشرعةً لأمطارِ الغدِ الجميل.. وهو ليسَ ببعيدٍ بحساباته..!! "سوفَ يعمدُ إذا لـــزمَ الأمـــرُ إلى تدريب خياله، وشحذ ذاكرته لابتكار عالمٍ آخر، يخترعهُ لنفسه، ويبنيه بتدرجاتٍ بطيئة، هذهِ شجرة برتقال يـــزرعها في مقابل خط الاستواء، ثمّ يرسمُ فراشةً ترفرفُ من حولها ..))– ص34.

" الـــرواية أفـــضل الأجناس الأدبيّة لدراسة كيفية تحول الواقع إلى خيال .."– ميشال بوتور / الرواية اليوم ص44.

و" متاهة الجسَد " ..رحلةٌ مضنيةٌ بينَ الحلمِ والواقع!!

خليفة حسين مصطفى يُؤسّسُ للرواية – الحلم.. الفانتازيا .. الخيال في كلّ ما كتبَ من روايات !!

الفانـــتازيا الراقية..، والخيال المصنوع بأصابع الحلم..، الحلم المصهور بالواقع..، أوْ هيَ حالة " تلويث الواقع بالحلم " – كما يعبّرُ بورخيس.

" ما أنْ وضعَ قدميه خارجَ أسوار الكلية حتّى فوجيء إلى

أيّ حـــدٍّ كـــانَ حالمًا وساذجًا " و " هوَ يجري تائهًا في سراب الأحلام المخمليّة " - ص89 .

أسئلة الواقع العمياء في " متاهة الجسد " تربكُ مدنَ الحلم .. التـــي يضعُ حجرَ أساسها كلّ ليلةٍ - عمر عبد الحميد .. الحالم أبدًا بواقعٍ يلغي كلّ جمرك على أمنياته .. وحركات أصابعه .. وخطـــاه ..، الواقـــع الذي يصبح لدى البطل كابوسًا مخيفًا .. يطردهُ بالأملِ النحيل .. والإصرار .. والبحث عن نوافذ تُفتَحُ أمامَ علاقـــاتٍ جديـــدة .. ربما تزيل صدأ الروح .. ودوار الرأس .. وتبعث على الطمأنينة.

" كنـــزة " .. إحدى بنات الهوى .. لحظة حُبّ طارئ .. أول الحلم الذي يرادُ به تلويث الواقع .. والانتصار عليه.. هلْ بـــذاءة الواقـــع تعالج بالبذاءة والفضيحة أمْ لأنّ " كنزة " عاشت المـــرارة والضياع اللذين عاشهما البطل..، وكلاهما من ضحايا واقعٍ صلف وقاسٍ: " كانَ أبوها وهوَ عامل نظافة ينفق أكثر من نـــصف أجـــرته الأســـبوعية في تحسين مزاجه الذي يأبى أنْ يتحـــسن"- ص91 و " إنّ قدمـــيها كمـــا قالـــت بلسانها تصابان بالتورم، وهيَ تسرح طوال اليوم متسكعة في الشوارع المكتظة بالناس من دون أنْ يطلها أحد ولوْ بإشارة مراوغة من بعيد.. لا

أحـــد سوى شراذم الشحاذين الذين يهرولون في أثرها ببلادة "ـ ص92 . لــمْ تــزده أحــضان "كنزة " الدافئة إلاّ مرارةً، وحزنًا، وخــوفًا، ورعبًا..، وسخطًا على الواقع..، رغمَ طيبتها، وحنانها : " لا يــدري عمــر عــبد الحميد كيفَ تمكنت هذهِ المرأة المتورمة بخبرات ومكائد الحبّ الجسدي المأجور من أنْ تجرفه وراءها إلى عالم الحقائق المرعبة وأوبئة الانحطاط بكلّ تداعياته السحزنة، عالم ما وراء الضمير بكلّ شروره ومساوئه.."ـ ص92 .

" متاهة الجسّد " .. لحظةُ حُبٍّ صادقٍ أيضًا !!

أيُّ حُبٍّ ؟؟ عمر عبد الحميد الطامح للحياة.. والفوز .. والأمـــان، هلْ يمنحه الواقع وقتًا للحُبّ ؟؟ ربّما أراد الروائي ذلـــك كـــيْ يـــسلحه جيدًا.. ويقوّيه على الواقع.. ليكونَ أداةَ مقاومـــة.. وامتحان التفوق بامتياز ..!! وهلْ يمكنُ أنْ يؤمن هـــذا الـــرجل المقهـــور بأهمية الحُبّ في الحياة.. والوجود ..والإحـــساس بالحـــرية ؟؟ أمْ أنّ الروائي سعى لأن تكون الرواية "صورة للواقع كلّه " ـ كما قالَ ميشيل بوتور ..أمْ أنّهُ وضع " أحلام " المرأة المتبرجة.. سكرتيرة مدير الشركة في طــريقه، ليعطـــي للتكنيك الروائي أهميةً ومعنىً " المهم هو التكنيك " ـ صنع الله إبراهيم .

إنّهـا لحظــة حُبٍّ فعلاً.. لتجميل الحياة..، واستبعد أنْ تكون تلك اللحظة التي غيرت في شخصية - عمر عبد الحميد مــن قبــيل " المُقبّل " أوْ بعض " التوابل " التي يضعها بعض الروائيين للجذب.. أوْ فاتح شهية للقراءة : " كانت متعجلة، بينما هــوَ يودّ لوْ أنّها لا تغيب عن عينيه أبدًا، قانعًا بتأملها من وراء مكتبه بسموٍ روحيّ، وكأنّهُ في حضرة ملاك ..."- ص106 .

" أحــلام " .. وحدها الحبّ الذي جعلَ من ملفاتِ الموتى حدائــقَ مــضيئة .. وعمر عبد الحميد لمْ يعُد يتثاقل من سيرة المدعــو " عبد الدائم " أوْ الحقد عليه " بلْ أنّه مدينٌ لهُ بأفضال كثيــرة، أولها أنّهُ برحيله إلى الآخرة مهّدَ لهُ الطريق إلى القبو، فعبرَ من خلاله إلى عالم أحلام الفسيح "- ص109 .

" مــتاهة الجــسّد " .. صــراعٌ بــينَ النقاء " المحكوم " والتلوث " الحاكم " ..!!

بينَ نقاء السريرة عند عمر عبد الحميد.. والواقع الملوث بكــلّ الــوان الكــذب .. والزيف .. والخداع .. والمجاملة .. والرشــوة ..، الواقــع الذي يداهم أشجار الدفـء ..والصدق .. والــنقاء بعواصــف الكذب العاتية : " فما عادَ هناك سوى لونٍ واحــدٍ يميلُ إلى الرمادي، يطفو على كلّ الأشياء من حوله، بما

في ذلكَ حجارة الشوارع، بلْ وما عادَ دقات القلوب، وإنما صدى عواء يصمُ الأذن كمنْ يدلفُ إلى غابة تغصّ بالوحوش والطيور الجارحـــة.."- ص136. تلـــكَ هـــي صورة الواقع في " متاهة الجـــسّد" .. وللـــنقاء صورة حتّى وإنْ بدت قاتمة : " ولذا فإنّه يتوجبُ على المرء إذا أراد أنْ يعيشَ حياته كما يرغب أنْ يفتشَ عن حظه في كلّ مكان، حتّى دورات المياه .."- 137 .

" متاهة الجسّد " ..رواية الانتصار والهزيمة معًا !!

الانتـــصارُ فـــي خلودِ الطيبةِ : "ياليت كلّ الرجال مثلك يالعمر طيبون "- ص141.. وفي لحظة الحُبّ التي لا تستطيع عواصف الزمن مجتمعة أنْ تمحوها:

" إنّها المرة الأولى التي يخفقُ فيها قلبهُ لمخلوقةٍ من جنسِ حواء لمجرد أنْ يتذكرها حتّى وهو نائم "- 172 . والهزيمة في فقـــدِهِ الحُـــبَّ " أحلام " والوظيفة " المصير " معًا.. بقرار من المديـــر العـــام الـــذي يمـــثل لـــدى عمر عبد الحميد " ميراث الانحطـــاط" وهوَ " جزء لا يتجزأ من الأعراق والتقاليد الحديثة التـــي ينـــساق إليها الناس المصابون بعمى الألوان "- 227...، ويصبحُ ملكُ الطيبةِ والسذاجةِ - عمر عبد الحميد بلا مستقبل.. فـــي الشارع : " ولكن بالنظر إلى الظروف الطارئة التي جدّت

مؤخـــرًا علـــى الوضـــع الاقتصادي للشركة مما يستدعي ويحتّم تقلــيص العمالة في إطار المصلحة العامة، وبذلكَ فقدْ تقرّر إنهاء خدماتـــه "- 228.. وبمكـــر وخديعـــة قرر المدير العام للشركة " التخلص إلى الأبد من شبح القبو الذي سطا كاللص وفي غفلة منه على أمينة سرّه "- ص239.. ويصبحُ عمر عبد الحميد بلا وظيفة .. وبـــلا حُـــبّ: " لا أحـــلام بعدَ اليوم "- ص237...، وعليه أنْ يـــصارعَ الواقـــع ومفارقاته مرةً أخرى..، ويعيد قراءة تفاصيل الحياة اليومية في زحام الناس، بلا عمل.. وبلا حُبّ، ويعيش على مـــا يعلقُ في الذاكرة من تفاصيل حُبٍّ غريزيّ..، وعلى لحظات موعدٍ قديمٍ، كانت " أحلام " قدْ ردمته بضحكتها .. وأنوثتها ..

وجمالهـــا الساحر ..وأغرقته بدفقات عطرها.. موعدٍ مع بائعـــة الهوى : " ولكنّه تذكرَ فجأةً موعده المؤجّل معَ ربّة المتع المتجولة المدعوة ـ كنزة "- ص239 ..ربما ينسيه بعض طعم الهزيمة..، أو يهديه معطفًا، أما أنْ يقيه بردَ الوحدة والضياع أوْ يقـــودهُ إلى متاهةٍ أخرى: " سوفَ يقضي ما تبقى من يومه في النوم مبحرًا في كوابيسه إلى أنْ تغمضَ الشمس عينيها في آخر الـــنهار، فلا يراهُ أحدٌ وهو يرفع ستارة الظلام ليدقَ بيدٍ معدنية على باب متاهةٍ أخرى .."- ص239.

" متاهة الجسّد " .. متاهةُ الحياة !!

ذلــكَ هــو الموضوع الحقيقيّ الذي كانَ يشغلُ الروائي الكبيــر الأســتاذ ـ خليفة حسين مصطفى..، وهو يبرهنُ على مقولة أندريه مورو الجميلة والهادفة " إنّ الرواية الحقيقية ليسّ لهــا إطلاقًا إلاّ موضوع حقيقيّ هوَ الذي يهتمُ بهِ المؤلف بشكلٍ أكثرَ عمقًا "ـ الإنسان العابر والأدب ص155.

وقــدْ جــسّدَ الروائي خليفة حسين مصطفى موضوعَه بشاعريةٍ .. وشفّافيةٍ عاليةٍ ميزتها جملةٌ رشيقةٌ مثيرة..، مشغولة بخبرةٍ وحنكة..، لتجذبَ، وتُمتعَ، وتستفزَ، وتوقظ !!

رابعًا : المقال والسيرة

" المقالُ تاريخٌ .. والتاريخُ مقالٌ "

مجهول

" حانَ وعدُ قيامتنا "...

الظلمةُ لا تستطيعُ هزيمةَ النور !!

1. " إنّ الكـــتابةَ العظيمةَ تنبثقُ من الإحساسِ بالظلمِ " – أرنست همنجواي

و "حـــانَ وعـــدُ قيامتنا "(1) .. الكتاب الجديد للأستاذ أحمد إبـــراهيم .. تعلـــيقٌ جريء على ما حدثَ، وما سيحدثُ، علامة اســـتفهام كبيـــرة على مَنْ صمتَ، ومَنْ سيصمت ويهادن، رثاءٌ جارحٌ على مدنٍ سقطت، ولوثت حقولها أحذيةُ الغزاة، ومدنٍ لمْ تعـــدْ اســـتغاثتها تقضّ مضاجعَ الحاكمين وولاة الأمر..، دفقةُ ضوءٍ باهرةٌ باتجاه ظلمةٍ تحكمُ..، لحظة هروب الظلمةِ من لقاء الضوءِ على طاولةِ الرهان.. !!

" حانَ وعدُ قيامتنا " .. لحظةُ الإحساسِ بالظلمِ !!

" إنّ الكاتـــبَ الذي يتجرد منَ الإحساسِ بمعاني العدلِ أو الظلـــم خيرٌ لهُ أنْ ينصرفَ إلى تحريرِ كتابٍ مدرسيّ للأطفالِ المتفوقين " – همنغواي !!

في هذا الكتاب العدلُ يكتبُ غضبهُ.. والحريةُ تقاومُ.. والضوءُ ينظمُ مسيرات احتجاجٍ.. والصمتُ يلتحقُ بقوافلِ الكلام.. !!

---

(1) حانَ وعدُ قيامتنا، مقالات – الأستاذ أحمد محمد إبراهيم، منشورات مجلس تنمية الإبداع الثقافي 2005.

هوَ : رؤيةٌ لمنْ لا يرى، وسماعٌ لمنْ لا يسمع !!

2. " الحربُ على الإرهاب " .. !!

وهـــيَ هــذهِ الحربُ الاستعمارية الجديدة التي يخوضها المستعمرون الجدد ضدّ جميع الشعوب في وقتٍ واحدٍ معَ تركيزٍ خـــاص جـــدًا على الإسلام والمسلمين وبالذات على المسلمين العرب.. - الكتاب ص12 .

والكاتـــب الأســـتاذ أحمـــد إبـــراهيم في " حانَ وعدُ قيامتنا".. يضعُ السهمَ في الهدف !! يسعى إلى الحقيقةِ، ولا يـــرى غيرها المغيب، أو منْ يكتنفه الغموض، هذهِ الأيام..، يـــريدها أنْ تـــصلَ، حتّـــى لو كانَ الصوتُ عاليًا، مزعجًا ومـــستفزًا..، أنْ تـــصلَ إلى المواطن، أينما كان، وفي أيّ زمان، وعلى أيّ تربةٍ.. !!

كاتـــبٌ لا يـــراوغُ لأنّ فـــي داخلـــهِ بركانًا من الأسئلة الغاضـــبة..، وفـــي كـــلِّ سؤالٍ جارحٍ ومؤلمٍ إجابةٌ أكثرَ ألمًا.. وربما أكثر شفاءً وراحةً :

" ولكن ماذا حدثَ بعدَ أسبوعٍ واحدٍ من الاحتلال، احتلال العـــراق؟؟ وتحـــتَ جنازيـــر دبابات الاحتلال.. وتحتَ أحذيةِ

جـــنوده؟؟ .. بـــدأت المقاومة !! هذا ما يجهله الاحتلال.. وما يجهلهُ الاستعمار " ـ ص12 .

يقـــولُ الكاتـــب ـ جميل مطر في مقاله " بوش والشرق الأوسط .. ثورة أم ورطة " :

" لقـــدْ نتجَ عن الحرب على العراق عمليات متعاقبة من استنـــساخ تنظـــيم القاعـــدة "[1] وهدفُ الكاتب الأستاذ ـ أحمد إبراهيم هوَ أنْ يطاردَ الظلمة في واقعٍ مريضٍ.. أنْ يصفَ دواءً للكـــسلِ والتـــرهل الفكري الذي يحكمُ حياتنا.. أنْ يقتلعَ أشجار الـــصمت والاستسلام الجرداء .. ويحرق أسبابهما..، أنْ يكشفَ زيـــفَ إمبـــراطوريات الغطرســـة والقوة والصلف.. ويجاهر بتحجـــرها، وزوالهـــا، وجهلها، وسذاجتها، وأنها ذات أحشاءٍ من رملٍ وقشّ:

"حـــينَ يـــتمكن الثوريون الذين يقودون شعوبهم من زجّ جماهيـــرهم فـــي المعركة المصيرية الحقيقية.. في المقاومة.. تـــصبحُ القوى العظمى مسخرةً ووهمًا.. وأكذوبةً إعلامية.."ـ الكتاب ص14 .

---

(1) جمـــيل مطـــر، بـــوش والـــشرق الأوســـط ثورة أم ورطة، مجلة الهلال المصرية، يوليو 2004.

ويقــولُ الــصحفي الإنجليزي " جافين إيسلر " في كتابه "ولايــات الغضب المتحدة " the united states of anger : "إنّ أمريكا تعاني من علاقة خطيرة بينَ الجهل والسذاجة " [1].

وبأســلوبه المقنعِ الذي يبدو فيه التمرد والثورة والتهكم ممتــزجين يــدين الكاتــب الأستاذ -أحمد إبراهيم منْ ضحّوا بــضحكة الــشمس، وإشراقة الحقول، وصفاء النهارات العربية، وأحــلام أطفالهم، حينَ وضعوا أيديهم في يدِ الظلمةِ، وصلُّوا في محاريب تلك الإمبراطوريات والممالك، وراهنوا على دوامها.. وهي من رملٍ ووهمٍ ودخانٍ وضعفٍ وخواء : " نيويورك أكبر وأكثر مدنِ العالمِ خواءً " ـ هنري ميللر [2] .

الأســتاذ أحمد إبراهيم كاتبٌ جادٌ، دفعهُ الإحساسُ بالظلمِ، وغياب العدلِ، وحزن الضوء، وظمأ الأرضِ، ونحول الأمل، إلى الــسعي لتغيير الواقع، ولنْ يجدَ صعوبةً في تغيير العيون التي تراه ـ كما يعبر الكاتب العبقري نيكوس كازنتزاكي !!

3. " إنّ القوةَ العظمى الوحيدة هيَ الشعب"ـ الكتاب ص14 .

تجاهلت أمريكا مثل هذهِ الصرخات، ووجدت نفسَها تغرقُ

---

(1) محمد يوسف عدس، إلى أين تسير أمريكا، مجلة الهلال المصرية – أكتوبر 2003.
(2)هنري ميللر، رواية عملاق ماروسي، ص98.

في مستنقعِ أوهامها..، وتطلق، دون أن تعي، "المارد من القمقم" حسب تعبير الكاتب..، أرادت أن تنهي أحلام الشعوب الأبية وإذا بها تجددُ وتوسع من أعينهم الهلكى إلى أحلام - يقظة أجمل وأروع .. ليبدأ عصرُ المقاومة بديلاً عن عصر الغثيان the age of anxiety أوْ عصر احتكار العولمة كما يسميه الكاتبان البريطانيان " بيتر مارتين " و" هارالد شومان " في كتابهما الشهير " فخ العولمة ".

يقول الأستاذ أحمد إبراهيم : " همُ لا يعرفون بأنهم حينَ يدشنون احتلالاً واستعمارًا إنما يدشنون في اللحظةِ نفسها عصرًا جديدًا للمقاومة " - الكتاب ص13 . ويقولُ الأستاذ جميل مطر : " فالخلايا صارت تنظيمات وتفرعت التنظيمات خلايا جديدة، وكلّها، قديمها وحديثها، يتغذى على غضبٍ شعبي عارم على السياسة الأمريكية في الشرق الوسط " [1].

أمريكا ضدّ أمريكا.. !!

تلكَ هيَ صرخة الأحرار في العالم : " والت ويتمان " و"بابلو نيرودا " و" مكسيم غوركي " و "وهنري ميللر " و " ألن

---

(1) جميل مطر – مجلة الهلال المصرية – يوليو 2004.

غينــسبيرغ " التـــي اجتمعت عليها شعوب العالم.. لتتقيأ تعاليم الهيمنة الركيكة والمقرفة.. والعولمة المفروضة القميئة.. !!

يقولُ الكاتبُ الأمريكي المتمرد - هنري ميللر في كتابه " ربيع أسود " :

" أرى أمـــريكا اللعنة السوداء على العالم" [1] و " أمريكا والعالم الحديث بأكمله قصر نظر مصحوب بنوبات من الضحك، لا نجـــوم جديـــدة في الأفق، بلْ كوارث ..مجرد كوارث .." [2] و"لمْ أقترف أية جريمةٍ، اللهمّ سوى أنني مولودٌ هنا " [3] و " أريدُ أنْ أعلنَ إنني خائنٌ للجنسِ البشري " [4].

شـــهادةٌ مكتوبة بالدمِ، والدمع، والحرقة، والأنين، وكيمياء الجرأة والاعتزاز بالنفس أيضًا !!

لقـــدْ ســـقطت تلـــك القوى العظمى أمام جبروت وقوة الـــشعب، كما يؤكد الأستاذ أحمد إبراهيم.. وأمريكا لم تعد لعنةً علـــى العالم، إنما أصبحت لعنةً على نفسها، وعلى أبناء جنسها

---

(1) هنري ميللر – رواية ربيع أسود – الصفحات 21، 20، 97، 119 .
(2) المصدر السابق.
(3) المصدر السابق.
(4) المصدر السابق.

الـــذين صـــارَ التذمر والسخط رغيفهم " أنا نبتٌ شيطاني لتربةٍ شيطانية " ـ هنري ميللر ـ مدار الجدي.. وأنّ إصرارها على الطغيان لا يعني بالنسبة للعالمِ إلاّ الجهل، والغباء السياسي الذي ضـــحيته المواطن الأمريكي أولاً.. والذي وجدَ نفسه ضائعًا.. ثقـــيلاً.. كريهًا .. ومحاصرًا بغازات الأسئلة السامة.. و نيران علامات الاستفهام الكبيرة !!

4. أمريكا في ورطةٍ.. !!

تلـــكَ هـــيَ المحصلة الخيرة.. وخلاصة القراءة الواعية للسياسة الأمريكية.. يقولُ الجنرال زيني ـ القائد السابق للقوات الأمـــريكية في الشرق الأوسط في حديثٍ أدلى به إلى محطة ـ CBS : " أهـــل الـــشرق الأوســـط لا ينظـــرون الآن للـــولايات المتحدة على أنّها تعدُ بتغيير ديمقراطي إيجابي، لكن ينظرون إليها كغزاة جدد.. وكقوة احتلال " [1] .

وكـــتاب " حانَ وعدُ قيامتنا " يثبت حقيقة ذلكَ.. ويبرهنُ علـــى أنّ أمـــريكا دولـــة أكاذيب: "قالَ مفتش السلاح النووي الأمريكي.. إنّ أمريكا ستستخدم السلاح النووي ضدّ العرب ..

---

(1) جميل مطر – مجلة الهلال المصرية – يوليو 2004 .

وأنّ الرئيس الأمريكي يعرف قبلَ الحرب بأنّ العراق لا يمتلك أسلحة دمار شامل " – الكتاب ص18 .

ويقــولُ الأســتاذ محمد يوسف عدس في مقال : " إلى أينَ تسير أمريكا " : " أصبحَ غالبية الأمريكيين لا يثقون في السياسيين سواء الديمقراطيين أوْ الجمهوريين فالجميع يكذبون " [1].

ويأســفُ كاتبــنا الأستاذ أحمد إبراهيم لأنّ العربَ أول المــصدقين لهــذهِ الأكاذيب، وهم يعرفون عدم صحتها، راسمًا صورةً كاريكاتيرية للوضع العربي :

" مَنْ منَ العربِ لا يعرف الحقيقة ؟

ومنْ من العرب لا يشعر بهذا التهديد الخطير ؟

غيــر أنّ بعــض العــرب يتجاهلون الحقيقة.. وبعضهم يكذبــون علــيها.. وبعــضهم يتجملون .. فالذين يتجاهلون.. يبحلقون كالمغشي عليه من الموت ..

يديرون أعينهم في محاجرها دونَ أن ينظروا شيئًا.. والذين يــتجملون يقولــون ولا يفــصحون.. وينطقون ولا يسمون شيئًا مفهومًا.. وينقادون بالحزام إلى حيث المذبح" – الكتاب ص18 .

---

(1) محمد يوسف عدس، إلى أين تسير أمريكا، مجلة الهلال المصري، أكتوبر 2003.

ذاهبـــين في أوهامهم، وأحلامهم الخلب بعيدًا، تدخلهم يدُ الوهم وتخرجهم من التجربة فارغي اليدين، غريبي الملامح، إلاّ من الريح والوعود الكاذبة لأمريكا الصديقة، وهي صديقة نفسها ومصالحها، و إدعاؤها لصداقة بعض العرب إلاَّ فصل من تلك الأكاذيب .

يقولُ الأستاذ أحمد إبراهيم : " فهل يستطيع العربُ الذين يحاولـــون إقناعـــنا بالـــصداقة الأمريكية للعرب والمسلمين أنْ يحـــصوا المرات التي اتخذت فيها هذهِ " الدولة العظمى " قرارًا بالنقض في مجلس الأمن الدولي ضدّ العرب وضدّ المسلمين ؟؟" – الكتاب ص19 .

وهـــي تـــضمرُ كـــراهية للعـــرب والمسلمين، وتجاهر بانحـــيازها الكبيـــر والفاضـــح لما يسمّى بإسرائيل، بلْ تتماهى أحلامهـــا في أحلام هذا الكيان اليهودي السرطاني الذي يسميه الكاتـــب دامـــيان تومـــسون في كتابه " نهاية الزمن " : " بذرة الـــشر".، حتـــى لمْ يعد العالم يفرقُ بينَ أمريكا وبين إسرائيل، وبـــين أحلامهمـــا البشعة .. بلْ منْ منهما الذي يحكمُ العالم .. وهذا واحدٌ من أمراض أمريكا المستعصية الذي يقولُ عنه " دي توكفـــيل " : "مرضٌ عضال يهدّدُ مستقبل الولايات المتحدة ".. وأضحى يهدّدُ الغربَ كلّه.. !!

يؤكد ذلك أيضًا كاتبنا الكبير الأستاذ أحمد إبراهيم قائلاً: " إذا كانت هذه الدولة قدْ اتخذت أكثر من نصف قراراتها بالفيتو ضدّ العرب ..ولصالح الكيان الصهيوني العنصري الذي يحتلُ فلسطين.. " ص19.. فإنّ عداءها للعرب والمسلمين لمْ يعد يحتاج إلى برهان بعد أن صارت الحروف العربية تزعج سدنة البيت الأبيض، وصارت المآذن، وصوت الأذان، وآيات القرآن، وأخلاق رسول البشرية الكريم تقلقُ أمريكا، ووراءها الغرب "المتدهور" كما يطلقُ عليه – شبنغلر.. !!

يقولُ الأستاذ أحمد إبراهيم متسائلا : " هلْ يستطيع أصدقاء أمريكا القدماء والتقليديون أوْ أصدقاؤها الجدد أنْ يحصوا لنا كمْ أنتجت أمريكا من أشرط خيالة -سينما – وأصدرت من أشرطة وثائقية ومواد إعلامية كانت موظفة بالكامل لتشويه الإسلام، ولإنتاج صورة نمطية للعربي المسلم الكريه.. المتخلف..الغبي ..والجبان.. والمتردد.. والمنحرف.. والمتوحش.. الهمجي والبربري.. والساقط.. والضعيف " – الكتاب ص21 .

وقدْ سقطت كلّ الأقنعة الأمريكية، ولم تعد اللغة التي تعتمدها مفيدةً، بلْ ركيكة، وخاوية، ومترهلة..، وأصبحت مفاهيم

الحـــرية، والديمقراطية، والعدالة بلا معنى، إذا كان المتشدقُ بها والداعي إليها خائنًا ومراوغًا، ومنحازًا، وكاذبًا بامتياز !!

يقــولُ الناقد والكاتب الأستاذ إبراهيم فتحي في مقاله الرائع : " كابوس أورويل يخيم على العراق " - وهو جورج أورويــل صاحب الرواية الشهيرة - مزرعة الحيوانات -: "تحريرا لعراق وهو بالمعنى الدقيق " احتلال العراق " والذي أصبح يعني بالإضافة إلى ذلك التدمير المغولي لأمةٍ بكاملها، تاريخها، ورموز حضارتها ومتاحفها، وإحراق مكتباتها، وقد استلزم هذا (التحرير) قصف الأحياء، وتدمير مرافق المياه والكهرباء والمستشفيات والأحياء السكنية، إنّ آلاف الأطفال القتلـــى مبـــتوري الأذرع والأرجـــل والـــذين أسالت القنابل العنقودية أمخاخهم " [1].

وإذا كانـــت أمـــريكا لا تحترمُ أبناءها، وأنها تجسد فوقَ أرضها الجدباء مفهوم العنصرية كأبشع ما يكون، فكيف لها أنْ تحتـــرم أصدقاءها من العرب، وتحسب لهم حسابًا..، وتمنحهم بعـــض الـــثقة في أنفسهم.. وهم يدافعون عنها.. هذا الصحفي البريطاني " جافين إيسلر " يقول :

(1) إبراهيم فتحي- كابوس أورويل يخيم على العراق - مجلة الهلال يونيو 2003.

" ليسَ في الولايات المتحدة شيء يماثل في قدرته على إشـــعال الغــضب بسرعة الريح الهائجة كالمشكلة العنصرية خصوصًا عندما يصاحبها ذلكَ الفقر المذل والخوف المروع من الجرائم "[1] .

فهـــل يمكــنُ أنْ يجدَ أصدقاء أمريكا من العرب في قلبها مكانًا (دافئًا).. أمْ أنهُ خانق، وبارد، ورطبٌ وهيَ " لا تراعي لهم حرمة.. ولا تراعي لهم شعورًا.. ولا تقدر لهم خدمة.. ولا تحترم لهم طلبًا " كما يقول الأستاذ أحمد إبراهيم – الكتاب ص22 .

وسؤال " حانَ وعد قيامتنا " الكبير والجارح : " هل يجد أصـــدقاء أمـــريكا حادثـــة واحدة تدلل على أنّ أمريكا لا تكرهُ العرب.. ولا تكرهُ الإسلام ؟؟ إذنْ فليسعفونا.. وليقدموها إلينا.. ونحن نشكرُ سعيهم.. ونحمدُ لهم عملهم "– الكتاب ص 23 .

6 . منَ الألقاب التي اتخذتها أمريكا لنفسها " مدينة التل " city on the hill أي أنها ذات طابع " استثنائي " يفصلها عن باقـــي الـــشعوب والحضارات " فهي أسمى من كلّ تلك الأمم"، وبهذا المفهوم تنصب فخًا آخرَ لنفسها، وهي لمْ تستيقظ بعدُ من

---

(1) محمد يوسف عدس – مجلة الهلال – أبريل 2004.

كابــوس أفغانــستان، لــتجدَ نفــسها في العراق أشبه بالأرنب المذعور، لا يقوى على شيء، وقد أخفقت خطواته السريعة في النــيلِ من فريسةٍ ليست سهلةً، وقدْ توجت بالانسحاق والهزيمة: "يــشعرُ الــواحدُ مــنّا الآنَ بالزهو والفرح يجتاحه وهو يرى الاســتعمار الجديد يُسحق ويُهزمُ، ويُبادُ على أرضِ العراق" – الكتاب ص 39 .

ولأنّ أمريكا لا تحلُم.. وأنّ تربتها بورٌ، بلْ تربة الغرب كله " منهوكة ميتافيزيقيًا " – كما يعبر كولن ويلسن – في كتابه – ســقوط الحضارة.. رأت، ومعها الغرب كله، أنّ العراق بداية الحلم التوسعي البشع : " وقد جاء وهو متأكد من أنّه قادرٌ على احــتلال العالم..، وأنه سيقفل الشرقَ كله بالشمع الأحمر بلادًا وعبادًا..، وأنه سيجوس خلال بلاد العرب عراقًا وشامًا وجزيرةً ليفــرخ أكثرَ من سبعين دولة قبلية وطائفية وعرقية وجهورية، ليحــسمَ إلـــى الأبد ذلكَ الصراع التاريخي بينَ الشرق والغرب والذي استمرَ آلاف السنين في يومٍ واحدٍ ليغلقَ كلّ ملفاته لصالحِ الغرب، وضدّ الشرق إلى الأبد ..إلى الأبد" – الكتاب ص 39 .

وإذا كــانَ هــناك ثمة حلم أصلاً فهوَ سرابٌ.. ووهم، حينَ فقدت أمريكا قدميها الآثمتين، بلْ أصيبت بأنيميا فكرية ودفاعية حادة

أمامَ المقاومة العراقية، التي أحرقت نيرانها باقات الورود الذابلة، التي كانت أمريكا متيقنة من أنّها ستكون في انتظارها، واستقبالها، بهندسة ألــوانها، وإذا بالأيدي التي صافحت " جارنر " و" بريمر " التعيسين قدْ شُلت، وشيعت حرارتها وحماسها : " وتوقعنا أن تبدأ المقاومة بعدَ أسبوعين من الاحتلال، فبدأت خلال يومين من الاحتلال.. فالشعوب المقاومة لا يُمكنُ قهرها ولا السيطرة عليها " ص41

كـــتابُ " حان وعدُ قيامتنا " يرى أنّ انتفاضة العراق الدرس الأكبر والأعظم لأمريكا، بلْ للغربِ كله : " وبعدَ العراق عليهم أنْ يقاتلـــوا الأمةَ كلها " و" سيبقى العراقُ عربيًا مسلمًا حرًّا" ص43.. وأنّ الحق هو الذي سينتصر..، وأنّ الأرضَ يرثها الصالحون :

"في عقيدتنا نؤمنُ بأنّ الحق هو الذي ينتصر آخرًا.. وبأنّ الــباطلَ زاهقٌ وإن كانت لهُ على الأرض جولة وصولة.. وأنّ الأرضَ لله يرثها عباده الصالحون.. المقاتلون.. المجاهدون " – الكتاب ص45 .

7 . " إنّ أسلوب الحياة الجديدة وهوَ أسلوب أمريكا مُقدّرٌ له الموت" ـ هنري ميللر [1] .

---

(1) هنري ميللر – عملاق ماروسي ص 252.

أيــنَ هي أيديولوجيا المحبة التي يرتبُ العالمُ على إيقاعِ مفرداتها سُرر الكون ؟؟

" أحــبوا بعضكم وعيشوا سعداء " – الرسام الفرنسي – بول جوجان !!

وهذه أمريكا اليوم تجدُ لها بديلاً، وتدعو بلْ ترسخ لأيديولوجيا الكــراهية والقتل.. يقولُ : " ريتشارد هوفشتار " في كتابه " أسلوب الــبارانويا في السياسة الأمريكية " : " أنّ السياسة الأمريكية تعاني مــن داءٍ مــزمنٍ يــتعذرُ استئــصاله.. تشبهُ أعراض هذا المرض الأعــراض الإكلينيكــية للبارانويا التي تصيب عقل الإنسان " [1] . والــشخص البارانوي كما يعرف به هوفشتاتر هو: الذي يؤمن بأنّ عالمًا أوْ كائنًا عدائيًا يتربصُ بهِ ويتآمر عليه بصفةٍ شخصية " [2] .

والكاتــب الأستاذ احمد إبراهيم يؤكد على أنّ أمريكا لمْ تــتخذ القتل وسفك دماء الأبرياء كأيدولوجيا فحسب إنما شرعةً وديــنًا : " منْ جعلَ القتلَ ديانته، وحلل قتل الأطفال، فالسنة في دجلــة موتى عرفًا، والشيعة قال : أقلية خرجت عن دين غزاة، قصفوا قبرَ عليٍّ واجتاحوا حرمه) – الكتاب ص51 .

---

(1) محمد يوسف عدس – بارانويا السياسة الأمريكية–مجلة الهلال – ديسمبر 2002.
(2) المصدر السابق.

أمريكا تؤسّسُ لمبدأ القتل، والدمار، والإرهاب، والقمع..، وتـــؤرخُ لدولـــة الطغـــيان والعدوان،.. ساعية إلى قيادة العالم، لمقاومـــة " الإرهاب "، وتأكيد مفاهيم الديمقراطية والحرية، وفي لحظة غباءٍ مزمنٍ تسمي المقاومة إرهابًا، وتخطأ وهي تجهد نفسها، ومعهـــا الغرب الذي ينوء بأعباء تبعيته لها، وسقوطه وترديه في " الـــبحث عـــن عدوٍ بديلٍ مقنعٍ " .. وقدْ رأوا ـ متفقين: " أنّ العدوَ المناســـب هو الإسلام والعرب جزءٌ منه "[1].. متجاهلين تمامًا أنّ الإســـلام هـــو دين المحبة .. والحق .. والعدالة..، وأنّ العرب ـ معلمي البشرية هم بناة الحضارة الحقيقيون !!

ويتـــساءل كاتبنا الأستاذ احمد إبراهيم في كتابه " حانَ وعدُ قيامتنا " قائلاً :

هلْ إرهابي حينَ يقاتلُ " نشميّ " عن بيته ؟؟

أمْ إرهاب أنْ يغزوَ لص " البترول " مدائننا ؟؟ ..

مَن أدلجَ قتل البشرية ؟؟ مَنْ شرعَ قتل الحرية ؟؟

فهل فلاحٌ معدم في الكوفة أوْ في الفلوجة لمْ يخرج منها ؟؟

أمْ غازٍ يسحقُ كلّ حياةٍ حيّة ؟؟

---

(1) المصدر السابق.

أجيبي يا راحاب العصر فإنّ الوقتَ الآنَ يريك نبيه ؟؟ – الكتاب ص52 .

وعلى إيقاع هذا النزيف، يرتقي كاتبنا بالروح الإسلامية والعربية التي – وعلى مدى التاريخ – ليسَ من طبيعتها الضعف والمهادنة والصمت والتخاذل..، وأنّها منذُ وُضِعَ أول حرفٍ مشرقٍ في التاريخ وهي رغيفها المقاومة والجهاد.. ولا يوقف هذا التحدي السافر..، والصلف الفارغ.. والجبروت والعدوان إلاّ المقاومة – الصلاة التي لا تكونُ قضاءً:

" يا عارًا لا يُمحى إلاّ بصلاةٍ .. لا يتوضأ قائمها إلاّ بالدم" – الكتب ص 55 .

وكأنهُ يرى في قولِ الحلاج : " ركعتان في العشقِ لا يصحُ وضوؤهما إلاّ بالدم ".

ليكون " ركعتان للأرضِ لا يصحُ وضوؤهما إلاّ بالدم ".. !!

8. أدقّ تعريفٍ للحضارة، وقفت عنده هو لتوماس باترسون في كتابه القيم : " الحضارة الغربية.. الفكرة والتاريخ" وهو : " تعبيرٌ عن حالة تفوقٍ بيولوجي "[1].. كما أنّها " فكرة أو

(1) توماس باترسون، الحضارة الغربية، الفكرة والتاريخ ص20.

طـــريق لتنظـــيم صورة الواقع "..، وتحقيق الهوية مظهر من مظاهـــر الحـــضارة الراقية، وكاتبنا الأستاذ أحمد لإبراهيم في كتابه القيم " حانَ وعدُ قيامتنا " يتحدث عن روابط الدين واللغة والـــتاريخ كشروط لتحقيق الهوية..، ولكنه يؤكدُ صعوبتها في واقعنا، لسببٍ وجيه وموضوعي : " حيث تقوم كيانات سياسية لا تعكـــس هـــذا الواقـــع علـــى صـــعيد الهوية والثقافة والتاريخ والمـــشاعر" ص62.. وهـــذه الكيانات السياسية القائمة متورطة بتبعيـــتها للغـــرب،.. تهتم بمصالحه، وتدافع عنهُ، وربما تلمعُ لهُ أخطـــاءه وتجاوزاته الجارحة..، وهذا الخطأ الفادح ينهي فكرة تحقيق "هوية جامعة للمنطقة " ولا ينتجُ عنهُ إلاّ هوية "مصطنعة" مـــرتبكة " فافتعلت عقائد محلية.. وسياسية.. ثقافية.. واختلقت تواريخ زائفة لتبرير وجودها على شكلِ دولة" - الكتاب ص63.

إنّ الإقليمـــية.. والتجـــزئة.. والتشرذم من أخطر وأكبر مبـــررات الغزو الأجنبي والاحتلال والهيمنة : "فالغزو الأجنبي يأتي الآن ليقيم على أرض العرب أكثر من سبعين كيانًا قبليًا أو طائفـــيًا أو عـــرقيًا أو مذهبـــيًا أو حزبيًا ليضمن أهدافًا مباشرة بسيطة " - الكتاب ص65 .

والمـــستفيد الأول منه همُ اليهود الذين نشطوا في الفترة

الأخيرة، مستفيدين من احتلال العراق.. وقدْ كانَ الفضل الأكبر يعــود فـــي فــرعنتهم، وتمكينهم لسدنة البيت الأبيض- صقور البنــتاجون الذين جعلوا الطريق أمامهم ممهدًا لدخول العراق.. يقولُ الجنرال - زيني : " هذهِ الشخصيات رأت في غزو العراق وســيلة للاستقرار في الشرق الأوسط ولمساعدة إسرائيل" [1] .. وفـــي مقدمـــة هؤلاءِ " فيث " وهو " تلميذ ريتشارد بيرل الملقب بأميـــر الظلام بسببِ كراهيته للعرب والمسلمين ومعظم شعوب العـــالم "[2] . كـــونَ الـــيهود تجمعًا ليسَ له مثيل..، ولم يشهده العـــراق، ولا غيــره من الدول، بسبب الانفلات الأمني، وتحتَ مظلـــة الاســـتثمارات الأجنبية، والتي تمخضت عن نشوء ستة وثلاثين مكتبًا للموساد في شمال العراق وحده، صرح بذلك أحد المعارضـــين العراقيين لمجلة - الأهرام العربي المصرية.. !! يقولُ د. محمود عبد الفضيل في مقاله: " التسلل الإسرائيلي إلى العـــراق فـــي ظل الاحتلال " : "هناك أكثر من عشر شركات إســـرائيلية كبرى وقعت عقودًا تجارية مع القوات الأمريكية في العراق.. في مقدمتها شركة " بكتيل " التي يرأسها جورج شولتز وزير الخارجية الأمريكي السابق " .. و هناك شركة " أريديوم"

(1) جميل مطر، مجلة الهلال، يوليو 2004.
(2) المصدر السابق.

الإسرائيلية التي وقعت عقدًا مع الجيش الأمريكي بخمسة ملايين دولار لإقامة شبكة تليفونات و " وقدْ تحدثت الصحافة الفرنسية مؤخرًا عن أنّ حجم التجارة الإسرائيلية في الشهور الأخيرة مع العراق بلغت نحو خمسين مليون دولار "[1].

والأســتاذ أحمد إبراهيم في كتابه " حانَ وعدُ قيامتنا " ينبّه، ويُحذرُ من الواقع الإقليمي المزري الذي تعيشهُ شعوبنا بالقول : " أنْ يكــون الكيان الصهيوني هوَ المسيطر.. وهو الشرطي الوحيد والمسلح الوحيد والقادر الوحيد وسط أقزام عجزة ضعفاء، لا حول لهم ولا قوة، يعجزون حتّى عن حماية أنفسهم "- الكتاب ص66 . وهــذا يؤدي أيضًا إلى " أن يستمر الاحتلال والاستغلال والهيمنة لهــذه المنطقة إلى الأبد من أجلِ نهبِ ثرواتها.. وأبادتها، والقضاء على حضارتها " - الكتاب ص66.. وتصبح تلك الكيانات السياسية مــنهكة كمــن أصــيب بمرضٍ عضال، لا شفاء منه،.. ولا بد من التخلص منها، واستبدالها بآخر أكثر مرضًا وضعفًا وعجزًا: " هذه هــي الإجابــة فهــم يتخلصون منهم لحساب أوضاعٍ أسوأ وأكثر تجزئة، وتخلفًا وتبعية) - ص66 أيضًا .

---

(1) د. محمــود عــبد الفــضيل ، التسلل الإسرائيلي إلى العراق، مجلة الهلال، أكتوبر 2003.

9. " وانــسفْ خبله من عقلك عجزًا دهرًا .. لعلّ الماردَ يولدُ فجرًا " ـ الكتاب ص69 .

حانَ وعدُ قيامتنا.. !!

حــانَ وقت الثورة.. لنقيمَ عرسَ الثائر.. المارد.. المثقل بأمطــار الغد الدافئة.. وفاكهة الفجر.. ولآليء النهارات : " أنّ الشمس ستشرق في موعدها.. وأنّ النورَ يعمّ الكون غدًا.. أذن في الناسِ علانيةً.. هذا وقتُ قيامتنا .." ـ الكتب ص69 .

وإذا مــا أصــبحت بغدادُ بفعلِ فيتامين الصمت، ووقاحة الاحتلال سجنًا كبيرًا، يتبادلُ نزلاؤه الرسائل الحزينة معَ ساكني غوانتنامو الأبرياء، فإنّ الوطن كلهُ سيغدو سجنًا : " يتأوهُ أسرانا من ألمٍ.. وكلّ الوطن غدا سجنًا ـ كما بغداد " ـ الكتاب ص70. وإذا كــانَ أبــو غــريب قلعة الامتهان والإذلال، فإنّ الصمت المخجل، والجبن المزمن يُنبئان بغزوٍ آخرَ، واحتلالٍ آخر.. وأبو غــريب آخــر أكثــرَ امــتهانًا، وألمًا، وجرحًا.. وأنّ ما يسميه الاحتلال " الدفاع عن الحرية " هوَ مسخرة ومهانة :

" فزيدوا في تعذيبِ الأسرى، وفي قتل العُزلْ..

فاضَ الكيلُ بنا فلعلَ التعذيب.. أو التحقير.. أو التقتيل..

لنا أفضلْ ..

ملعونٌ جدّ الحرية إذا كانَ لها صلة بالقهرِ وبالتعذيبِ وبالذلةْ " ـ الكتاب ص71 .

10. يقــولُ د . فرانك لونتز: " أنّ الأمريكيين لا يعلمون كثيرًا من الحقائق التي تدورُ حولَهم "(1).

لأنّ أمريكا تكذبُ.. وتاريخها مجموعة أكاذيب.. !!

وســـرعانَ مـــا ينكشفُ كذب سدنة بيتها الأسود.. وربما بقراءة متأنية لفقه الثورة.. وكيمياء المقاومة.. تسقطُ كلّ الأقنعة والأكاذيـــب حـــينَ تصبحُ الشمسُ صحيفةً يوميةً للثوار.. وحينَ تقاتلُ الجبال والوديان والأشجار والأعاصير في صفهم.. حتّى ينتهـــي الطاغوت يقول الأستاذ أحمد إبراهيم : " ولنْ يقدرَ هذا الطاغــوت الظـــالم أنْ يوقفَ زحفَ مقاومةٍ يتولاها الشعب "ـ الكتاب ص77 .

وتصبحُ المقاومة فكرةً يُبشرُ بها الصباحُ.. !!

وتـــصبحُ خطـــا الثائـــر كـــشجرةٍ مثقلةٍ بالثمر.. والأفياء..

---

(1) محمد يوسف عدس، إلى أين تسير أمريكا، مجلة الهلال، أكتوبر 2003.

والعصافير.. وعناقيد الضوء.. في كلّ مكانٍ من أرضِ العروبة المباركة بالأذان.. وصلوات الفجر، وما "غزة" و"الفلوجة" إلا البداية :

" هذا ثالوثُ المستقبل أشرق ذات صباحٍ في غزة ..، أو بغداد أو الفلوجة.. لا فرق يشرقُ حيثُ يشاءْ.. جماهير الأمة تعلنُ غضبتها.. وتقاتلُ في كلّ الجبهات عدوًا مختلف الشكل.. مُتفق المضمون.. " – ص77.

ليبزغ فجر الثورة.. فجر الإنسان الجديد.. المبارك بأضواء شمسٍ تشرق على غير عادتها.. ونور ليسَ كلّ الأنوار.. وكون ليسَ كلّ الأكوان.. وقت الثورة.. وعد قيامتنا.. كرنفال السعادة الحقيقية : " أنّ الشمس ستشرق في موعدها.. وأنّ النورَ يعمّ الكونَ غدًا.. فهذا وقتُ قيامتنا.. فالوقت الآنَ – مقاومة شعبية " – الكتاب ص 78 .

11. " فقدت الولايات المتحدة رصيدها من الهيبة والاحترام، وفقدت مصداقيتها كدولةٍ هيَ الأقوى عسكريًا، ترشحُ نفسَها لقيادة العالم، وفقدت مصداقيتها كمبشر للديمقراطية واحترام حقوق الإنسان "(1).

---

(1) جميل مطر، بوش والشرق الأوسط، مجلة الهلال، يوليو 2004.

لأنّ أمــريكا كذبــة كبيرة.. أنفقَ المغامرُ " كولومبس " المــسكين وقــتاً ثميناً في اكتشاف هذهِ " اللعنة ".. !! وأمريكا خدعــة.. والسائرون في ركابها مغفلون.. ومخدوعون كبار.. يقرأ ون تاريخاً بلا ليالٍ.. ويحترفون سياسة بلا فقه.. ضحكهم بكاءٌ.. واجتماعهم افتراق.. وأنهم بؤساء.. وكاريكاتيريون أبدًا يقــول الأستاذ أحمد إبراهيم : " وأنتَ تستمع إلى جعجعة أولئك الــذين يبــشرون بــسيطرة الإمبريالية والاستعمار الجديد على العــالم.. أنــك أمام قومٍ لمْ يقرأوا حرفاً من التاريخ.. ولا من الــسياسة.. ولا من الاجتماع.. ولا من أيّ شيء مما لهُ علاقة بهذا الأمر .." – الكتاب ص81 .

عــودة أمــريكا إلى المنطقة خطا تاريخي.. وعسكري.. وسياسي.. كارثة ستلون الأزمنة القادمة.. وهي عودة الاستعمار الجديــد الــذي يعنــي الــبؤس.. والفقر ..والتخلف : " فعودة الاســتعمار من جديد هي عودة للنهب المنهجي، والفقر المخطط لــه، والفــوارق والتمييز المبرمج، فهي عودة للقهر والعبودية والتخلف " – الكتب ص86 .

أمريكا قوةٌ غاشمةٌ.. بلا تاريخ.. وبلا وجود.. !!

وهــي لا ظــل لها.. مجهولة في أجندة الإنسان الحر..

والأيديولوجــيات.. والعقائد.. صانعة الجحيم الأرضي الذي لا يليق إلاّ بجسدها المثقل الآثام.. والأخطاء.. والمعاصي.. يؤكد كاتبــنا الأســتاذ أحمد إبراهيم ذلك في قوله : " يحولون العالم الواسع إلى زنزانة ضيقة.. بلْ إلى جحيم حقيقي، لكنهم أول منْ يحتــرق فـــي هذا الجحيم المقيم الذي صنعوه للآخرين، فإذا هو جحـــيمهم الخـــاص الذي عليهم أنْ يحترقوا فيه ما داموا على نهجهم العدواني والعنصري.. ما داموا على اعتقادهم القديم في الغزو والنهب والاغتصاب.. " ـ الكتاب ص92 .

المقاومةُ آخرُ كتابٍ يؤلفهُ الشعب.. !!

الـــثورةُ هي آخرُ الرسالات.. !! والثوريّ والمجاهد هما آخر الأنبياء.. !!

والعـــالم الآمن هوَ محرابُ الصلاة القادمة.. !! وهذا العـــصرُ عـــصرُ الألفـــة.. والاجتماع.. والمحبة..، وليسَ عـــصرَ الطغـــيان.. والاحـــتلال.. والسيطرة.. والتجبر.. والظلمة البليدة ..

عصرُ النور.. عصر الشعوب الذاهبة إلى صلاة الفجر.. والمـــتعلقة بخاصـــرة الشمس.. وخيوط المطر، عصرُ الإنسان الحـــالم أبـــدًا : " فهـــذا العـــصر هو عصر الشعوب.. عصرُ

الجماهيـــر الغفيـــرة فهي القوة العظمى الوحيدة في هذا العالم.. وهي التي سترث الأرض وما عليها.."ـ الكتاب ص 93 .

12. "حانَ وعدُ قيامتنا".. نشيدُ الأجيالِ الحاضرةِ.. والقادمة !!

نـــصٌ مركب text compound من المقال ـ التاريخ، ومن الشاعرية ـ صدقٌ الانتماء !!

مـــن المقـــال : قراءة التاريخ قراءة جديدة ..واعية، ووضع الواقـــع تحـــتَ ميكروسكوب التغيير.. ومحاولة إنقاذه من فيروس الذبـــول والكسل والترهل..، والمشاركة في موكب النور.. ووضع حجـــر أســـاسٍ لمدرســـة الـــثورة..، ومباركة خطا طلابها الذين يـــسيرون لـــيلاً، عابرين حقول الألغام.. يرددون أناشيد الوطن..، ويحرقون إمبراطوريات وممالك الطغيان.. والكذب والطمع !!

من الشاعرية : الحماس الضروري.. حرارة الوجدان.. صـــدقُ الانـــتماء.. كـــرنفال الأحاسيس وهي توقد الشموع في دروب الـــوطن.. وتجـــدد الأفقَ بأغاني الأمل.. وتملأ دواخل الإنسان ـ العاشق حياةً.. ودمًا.. وأمانًا.. وصباحاتٍ.. !!

"حانَ وعدُ قيامتنا".. سطورٌ من فسفور اللحظة المضنية.. أجـــادت نسجها قريحة الكاتب الكبير الأستاذ ـ أحمد إبراهيم..

حبــرُها دمعُ الصباح المؤجل..، وورقها حُلمُ- اليقظة..، تحاكمُ الواقع..، وتصححُ في صفحات التاريخ.. ،وتشكل إضافة لكتاب الــثورة..، لحظة احتفاء.. وتتويج للإنسان المقاوم.. والثائر.. والوطني.. والعاشق !!

صــدرا لكــتابُ فـــي طــباعةٍ أنيقةٍ، وإخراج جيد، ضمن منــشورات ـ مجلــس تنمــية الإبــداع الثقافي الذي يقيمُ عرسًا للإبداعِ..، ويرعى بمسؤولية عالية نبض المبدع الجاد والصادق.. وهــذا الصرحُ الثقافي يعدُ بالكثير من أجل التواصل.. والإبداع.. والحرية .. عبرَ مدن الكلمةِ المضيئة.. الخالدة !!

" صرخاتُ في زمن الصَّمت "...

بين الرَّفض والرِّثاء !!

- "صــرخاتٌ فــي زمــن الصَّمت "[1] .. كتاب للأديب والقــاص المــبدع الأستاذ محمّد على الشويهدي، وهو نصوصٌ مخـــتارةٌ، نشُرت في مجلة (الموقف العربي) التي صدرت في قبـــرص، وكـــان الـــشّويهدي يرأسْ تحريرها، وهذه النصّوص اختيـــرت بدقةٍ وبراعةٍ، ولها لغتها المميزة الجذّابة، لا سيما وأنَّ كاتبها قاصٌ مميز..!!

نصوصٌ لها أهميتُها رُبَّما لأنَّها أرّخت بجرأةٍ، وشجاعةٍ لحقــبة زمنــية قاهــرة، ولحالــة عربية كانت تستحق فعلاً الدراســة..، حالة الصَّمت، والضعف، والخضوع، والمُهادنة، والخيانة، وسط استعراض عضلات غربي لا مثيل له.. وقوة وجبروت وطغيان وغطرسة غربية تمثلها أمريكا وبريطانيا وطفلتهما المدلّلة " إسرائيل" ..!!

والشوارعُ العربية يخنقُّها الدُّخان، والظُّلمة، ورائحة الجثث والجــوع، والإحباط، قَدْ أطفأ ضوء كل بيوتنا التي كانت تزهو بالشَّمس والرغيف، والرّبيع، والمّطَر " تحول المواطنون العربُ

---

(1) صرخات في زمن الصَّمت، محمد علي الشويهدي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت 1999م.

إلـــى قطعـــان من الشياه معدّة للنَّحر متى مأمأت أو حتَّى متى ركنتْ إلى الصَّمت، ـ ص 10 .

ورُبَّمـــا وجـــدَها الـــصَّديق الكاتب محمد الشويهدي حالة مـــزمنة فأرادَ أنْ يكتبَ تعليقًا جريئًا، أخذَ شكل هذهِ الصرخاتِ الضروريّة والتي أراد بها (التحريض على الرفض والثورة)، وإنْ كانـــت تحمـــلُ فـــي سطورها الرثاء،.. رثاء الواقع الميت، ورثـــاء الإنسان العربي المهزوم، رثاء الحكومات التي تغط في سُبات عميق، معَها أجهزتها التقليديّة المهادنة، والمريضة !!

2- نصوص ومقالات الشُّويهدي ثمرةُ حلمه ككاتب، وهو ســـعيد بهذه المساحة حتى وإن كان هذا الحلم، رغم مشروعيته، مُـــزعجًا ومقلقًا : " كنت أحلم لأنني كنت أثق ثقة مطلقةٍ في كل الحكّـــام العـــرب، فهم جميعًا أحفاد رسول الله، وهم جميعًا حماة الديار، وهم جميعًا حماة حمى الحرمين، وهم فوق كل هذا أولو الأمـــر فينا الذين فرضت علينا طاعتهم "- ص21، لكنه منحه أصابع الرّسام السَّاخر، فهذا التهكم وهذه السُّخرية هي جزء من احتراقه ككاتب صادقٍ .

3- هي مقالات تستدعي الماضي، تحاكمهُ، وتقلقُ الحاضر لتحفـــزهُ لاتجرحُ، ولاتفتحُ جرجًا، رُبَّما هي تحكَ على جرح لم

يندمل بعدُ.. جرح نراهُ بأعين هلكى يتقيح ويوجع، ومازال نزفهُ مستمرًا، وطن مُفرق، مُشتَّتٌ، وشعوب آمنة، مغلوبٌ على أمرها مـــع ذلـــك مستهدفة، بلْ مُخطّط لأبادتها بأيدٍ خفية وأيد ظاهرة، حصارٌ حتَّى إشعار آخر، جوع حتَّى إشعار آخر، قتلٌ مجّاني كلّ يـــوم، وكـــأن العربي صار وباء ينبغي القضاء عليه.. كلّ ذلك يقابله صّمتٌ عربيّ، لا مبالاة، برود، نسيان.. وحتّى خيانة ..!!

اعتدنا الذُّل والمهانة في عُقر دارنا، قبلنا أن نذبح كالنعاج، أنْ نـــركلَ كمـــا البهائم، من فلسطين إلى لبنان إلى الكويت إلى العراق إلى الصومال إلى السودان مرورًا، رُغم الحصار الجوي بكلّ أرجاء الوطن .

إنَّ الغـــربَ الَّـــذي يتفجرّ حقده ضدَّ كل الوطن وكُلَّ العرب تحـــت مظلة الشرعية الدولية، لا يسعى إلى أبادتنا فقط، ولكن أيضًا إلـــى إلحاق كلّ صنوف الإذلال والقهر والغبن، والظّلم بنا، انتقامًا من حلم عربي مشروع في التقدّم والنماء والوحدة.. – ص 35 .

4–هذه المقالات الجادة لا تلغي وجودنا، بلْ تطالب بالدّفاع عـــنه، لاتتكر علينا ذاكرتنا بلْ تحاول إيقاظنا، وتجديد نسيج تلك الذاكرة، التي حوصرت بجيوش البلادة " نوبات كرامة.. نوبات عقـــل.. أو قُلْ إن شئت نوبات جنون، لكن هذه النوبات صارت

حالـــة شائعة بين شباب الوطن، منذ أصابت أجمل بنات العرب عــروس الجــنوب "ســناء محيدلي" فتفجرت في العدوّ بركانا مُحرقًا، وفينا رفضًا للأمر الواقع ."ـ ص 43

مقــالات لا تعلنُ عن موتنا، بل تحذّر منه، وتخلقُ متّسعًا للـــولادة والحـــياة، لا تخلق ولا تضع إشكالات وصعوبات في حياتـــنا بـــلْ تـــضع الأصـــبعَ المرتعشَ على الداء، لكي تزيدنا إصرارًا على الحيًاة، ببساطةٍ أنْ تدافع عن حياتنا ووجودنا بكّلّ جـــنون، رُبمًّـــا ًاصـــبحَ الجنون ضرورة من ضروراتِ عصر مراوغٍ.. وخؤونٍ.. !!

" الفــتاة العـــربيّة ســـناء محيدلي قدّ تكون الانتحارية أو الإرهابية، أو المجنونة الأولـى، لكن الفتى العربي سليمان خاطر لـــن يكونَ بالتأكيد الانتحاري أو الإرهابي أو المجنون الأخير، ذلك أنَّ نوبات الكرامة أو العقل أو الجنون صارت حالة شائعة تـــسري عـــدواها بين شباب العرب كما النار في الهشيم على امـــتداد الوطن .." ص 44. نصوصٌ تمنحكَ التفاؤل أيضًا، في حوارٍ جميلٍ ودافئ مع الماضي، يأخذُّ شكل الاستراحة، استراحة الـــرّوح المتعـــبة المثقلة، والظامئة للحظة الخلاص، ثمرتُها هذا الحُلـــمُ الفتـــيّ بفارس عربيّ، يحملُ كُلَّ أحَلامنا وأمنياتنا وحتَّى

أدعيتــنا إلى الثورة، فكانَ الحوار هادئًا وجذّابا مع عبدالناصر، رمز الماضي العربيّ الجميل :

" وانتمينا يا سيّدي للثورة التي توليت أنتَ قيادتها في 23 يوليو 1952 ورفاقك الضبّاط الأحرار رُغم الحدود والقيود هكذا كان الحال معَنا في ليبيا.. وهكذا كان الحال مع كُلّ أبناء الوطن العربيّ الكبير المقهورين المغلوبين "- ص50 .

6- "صــرخات فــي زمــن الصَّمت " . مقالات تميّزها واقعيــتها الجارحـــة، فهي لا تُجامل، وتعمد التعرية، والأسلوب الفاضــح، نصوصٌ لا تراوغُ، لأنَّ مادتها الواقعُ الجارح، وهي تتعمد الارتطام بهِ، من أجل تحطيمه، وربُّما تهشيمه على رؤوس أهله الخانعين .

نصوص تقول لتُخجل الصَّمت أو تفتّته، فالغربُ المتمثل فــي أمــريكا قــوّة حاكمة وسط ضعفٍ مزمن ومخجل أيضًا، والمدعــوة " إســرائيل " كذبة صارَ تصديقها أمرًا وفرضًا، وقدْ لــوّثت شــوارعنا وألعــاب أطفالنا بالطين، والدُخان والمذابح "المدعوة "إسرائيل" هذه ذبحت الشيوخ والنساء، والأطفال العرب فــي مــذابح جماعــية، هــتكت أعراض الزوجات والأخوات والأمهــات والبــنات أمام أعين الرجال وهدمت البيوت ونهبت

الأمــوال، وسلبت ختامًا الكرامة من كُلّ العربِ المنبطحين على امتداد الوطن الكبير .."ـ ص 46 .

نــصوص الشويهدي التي تتضح عليها تقنيته القصصية نصوصٌ فاضحة، تُدين لتغيّرُ، وتصرخُ لتوقظ. فالكلّ مخدوعون بأوهــامٍ صنعها الغربُ لتكونَ سفينته الضّالة وسط هذه الأمواج الصّناعية التي لا تغرق إلا من أقلقتُه.. والسَّلام مسرحية هزلية لا تــضحكُ، لأنَّ الممثلــين فيها مخدوعون، وأنَّهم يرقصون ـ وعوُا ذلك أمْ لم يعوُا ـ على حبالٍ مهترئة..!!

نــصوص تحلم.. والحلمُ متلوٌّ بيقظةٍ، وهذا ما أضافَ إلى ســطور الكــتاب هذه الشفّافية الجميلة والّتي أنقذت الكاتب من التكــرار، وفــتحت الشهيّة لقراءته، وهيّأت ذاكرة وأعين القُراء لحلمهِ الجميل :

"فتيقــنت لي حقيقة واحدة، وهيَ أنّني موجودٌ في أغباش الليلِ، وأنّ الحلمَ قادمٌ لا محالة .." !!

" ذاكرة صحفي "

ترانيمُ عاشق !!

لا أدري مَنْ الذي قال : " إنّ المقالَ تاريخٌ " ..!!

وأنـــا أقــرأ الــصديق ناصر الدعيسي منذُ فترةٍ طويلة، وتابعــتُ محطاته الصحفية، وشاعريته وهوَ ينتقي موضوعاته برقّةٍ، وحبّ، وشفّافية، منذُ كانت تجمعنا مجلة (كلّ العرب) – الصادرة في باريس، همًّا، وإبداعًا، وقلقًا..، وقدْ كانت تلكَ المجلة متميــزة في طرحها القومي ..والإبداعي.. وقلقها الإنساني..، وأنا والدعيسي كنّا أكثرَ قلقًا، ..وإذا كانَ للقلقِ ثمة نبوءة، فإنّ ما يدورُ الآنَ فوقَ أرض الرافدين يُبرّر قلقنا المبكر ..!!

ناصــر الدعيــسي كاتــبُ مقالٍ ذكي.. !! وهوَ مُقل لأنّ رحلــتَهُ في البحث عن الموضوعِ المثير.. والمقلق.. والمستفز مُضنية.. ومُثمرة معًا !!

يفتــتحُ كــتابه " ذاكرة صحفي "[1] في مقالٍ أشبه بقصيدةٍ ظلــت الطريق، ولو أنّ الدعيسي شاعر، لقلتُ أنّهُ اكتشفَ وزنًا جديــدًا فــي الحبّ، يتفوقُ فيه على أوزان الفراهيدي..، ومقالهُ "صــباح الخيــر يادرنة " مستهلٌ جميل.. لكتابٍ دافئ .. ترانيم

(1) ذاكرة صحفي، ناصر الدعيسي، منشورات مجلس الثقافة العام، ليبيا 2006م.

حُبّ في المكان " فالحبّ هوَ أقوى معادلة في الحياة، وهوَ أقوى وأنبل مشاعرنا "- ص7..، وتقديس المكان بعض صلاة المرء..، والكاتب العبقري - غاستون باشلار في كتابه "جماليات المكان " يؤكدُ أن ولادة الأشياء تبدأ من المكان، وأنّ المكان هو أصل الأشياء..، وهذه الشاعرة الهندية الرائعة آنجوم حسن تقولُ في قصيدة - المطر :

دائمًا
المكان الذي أنتَ فيه
هو مكانٌ في الرأسِ،
يتأسّسُ عبر الجلدْ !!

ولهذا رأى الدعيسي " العاشق بقلبه قبلَ قلمه " مدينته - درنه (يوتوبياه) وبيته.. وحبّه : " لمْ تحرمنا درنة شيئًا، كانت تحبّنا جميعًا، ولمْ تقلْ يومًا هذا ولد خارج الرحم.. كانت درنة رمزًا جميلاً لمعانٍ كبيرة في مسيرة الحياة " - ص8 .

المقالُ لدى الكاتب - ناصر الدعيسي لحظةُ تجلٍ ..!!

لحظــــةٌ تــضيئها الكلمـــاتُ الممغــنطةُ بآهاتِ الروح .. وإيقاعـــات الأحـــلام.. وصخب الأماني..، والكتابة لديه لحظةُ دفءٍ أيضًا، مشحونة بالذكريات.. والشجن ،

تجعــلُ مــن نزيفه – كلماته لحظاتٍ مضبوطة على ساعة القلــبِ.. وارتعاشة الجسد.. وعنفوان الذاكرة : " كانت المحطة قدْ لاحـــت في الأفق، فحملت حقيبتها من جديد فوقَ ظهرها وأشارت لـــنا بأنهـــا مغادرة..، طلبَ منها عنوانها فأشارت إلى كتابة على بنطلونها الجينز لا تسأل عن شيء، فأنا شمسٌ تأتي وتغيب " .

والمقالُ عندَ الدعيسي موقفٌ أيضًا.. !!

قـــدْ يـــسلّمُ الكاتبُ نفسَه لسلطة الكلمات.. ونيران اللحظة الـــشعرية الدافقـــة بالأحلام .. لكنهُ لا يتنازل عن عسلِ الذاكرة المعتق بالجرأةِ.. والموقف الإنساني والقومي ..

فهو حينَ يتحدث عن بيروت، يتحدثُ عن أنثى، وضعَ اللهُ فـــيها كـــلّ الجمال..، وهو مثقل بالجرح والحسرة، حينَ يراها وحـــيدة، تفلتُ من بين أصابع العروبة الغائبة، وغذاؤها النيرانُ والمـــوت اليومي : "جمعت بيروتُ غرباء الجرح، كانت وطنًا للـــذين هربوا من مطبخ الوطن الذي عجز عن تحقيق أحلامهم في الحرية والنماء.. مارسَ العربُ فيها كلّ شيء من مراهقتهم

السياسية في تصفية الحسابات وحتى نزواتهم في التلاعب بمصائر شعوبهم ..وحينما حوصرت 1982 تركوها وذهبوا للفرجة على كاس العالم" ـ ص14 .

قلتُ في البداية أنّ : المقال تاريخ.. والتاريخ مقالٌ أيضًا!!

وها هوَ الصديق الدعيسي يُؤكدُ ذلكَ..، في سطورٍ دافئة، لا يردمُ التاريخَ بسيولِ دموعهِ على الماضي إنما يوقظهُ، يوقظُ لدينا الذكرى.. ويشعل نواقيس الشعر.. والأحلام . . والعشق..، والليالي بلا انتهاء، وهي الليالي الوحيدة التي تخالف نظرية ـ غاستون باشلار الذي ظل يعتقدُ أنّ الليالي بلا تاريخ في كتابه "شاعرية أحلام اليقظة " .. والدعيسي يجزمُ أنّ لها تاريخًا وكذلك " ليندا " و" عائشة " و" البياتي " و" روفائيل ألبرتي " و"بيكاسو" وجراح لوركا العظيم :

" التاريخُ لا يموتُ على بوابات المدن، لكنه ينبعثُ حيًا ليوقظ لدى الناس إحساسهم بالذي صنعهُ الأجداد " و" كلّ شيء ينتهي في هذه المدينة التي لا تعرفُ للنوم طريقًا، ولا ينتابها التثاؤب فن نهاية الليل، هي فراشة متوسطية تنامُ على رحيق التاريخ، وتطلقُ جناحيها على موسيقا أندلسية " ـ ص 20 .

والمقالُ عند الكاتب الصحفي ناصر الدعيسي حالة شعرية وإنسانية معًا !

هوَ انتماءٌ للإنسانِ الكادح.. والعاشق.. والمغدور الذي داستهُ عجلات الزمن القاسي، وظلت ثروته الكبيرة التي لا تنفد هي قلبه.. وأحلامه.. ولحيظات من مستقبل غامضٍ ومجهول : " لكنّ حياة الفقراء واحدة لا تتغير.. الفقرُ يظل دائمابوابة المنفى، والرزق طير شارد يحط مرةً، ويهربُ مرةً أخرى، والباحث عن الرزقِ صياد أعمى، يطارد الريح وغربة الأيام " – ص33 .

وإذا كان المفكر " فوكوياما " يجزمُ بنهاية التاريخ، والتي تعني، ظلمًا، نهاية الإنسان.. والأحلام.. والإبداع..، وهي مستحيلة مادام قلب المواطن المغربي " الهاشمي " ينبضُ بالحياة.. والحبّ.. والسعي المتواصل من أجل الحرية والرغيف..، إنّ الأغنية الجارحة التي كان يدندنُ بها – الهاشمي الرجل الفقير أخلدُ كثيرًا من صياغات – فوكوياما : "مَنْ تركَ لهُ والده لسانًا خيرٌ من الذي تركَ له فرس " .. وهذا الرجل الذي أحرقَ، في يومٍ من الأيام، من شدة الجوع كلّ الأوراق والمستندات التي تثبت هويته وشخصه، مسلّمًا نفسَه لأسماك البحر وأمواجه العاتية، بحثًا عن الرغيف المرّ والحرية،

أرادَ الدعيسي أنْ يرسمَ من خلالهِ صورةً للانسحاق الروحي والإنساني : " لقدْ كانَ البحرُ مخيفًا، كنّا كخنازير في حظيرةٍ.. رائحتنا نتنة.. البعض منا كانَ يقضي حاجته دونَ حياء.. سقطنا جميعًا وسط صرخة جماعية في جوف ذلكَ التيه، بدأ صراعنا مع الموج والموت حتى أصبحت أصوات الآخرين تغيب وتأتي، جالَ في خاطري أنهم ماتوا لا بلْ التهمهم الأسماك الكبيرة" - ص35 .

في مقالهِ " الكتابة بنزف الدم " مهارةٌ لغوية.. توجتها عبارةٌ شعرية شديدة الإيحاء.. والكثافة.. والجمال البلاغي..، كانَ يستعين بالشعر ليثبت أنّ الكتابة " جنون " وأنها " غولٌ يلتهمُ أروعَ لحظاتنا "- ص40..، وإذا ما اعتقدَ البعضُ أنها وهمٌ فهي " أبرزُ أوهامنا " وأعظمها قاطبة.. هي " أنثى " ولكنها ليسّت أنثى - أدونيس التي " لعبتْ بالغيمة فاضطجعت ".. إنما هي أنثى من ريحانٍ.. ودمٍ.. وكريستال وهي " أقرب من الصلاة " - كما رآها كافكا .

وفي سيلٍ جارفٍ من العبارات والتراكيب الشعرية، يجلّ الدعيسي هذه المملكة العظيمة- الكتابة، لأنّه أحد جنود معسكرها الصارم، والكامل الاستعداد للدفاع.. والمقاومة.. والعشق..

والانــتماء..، وهي ليسَت " طيشًا " معَ أنها ليست " بريئة " أيضًا ولكنها إنجازٌ حضاري يفخرُ به الإنسانُ والتاريخ والوجود معًا !!

" يــا للكــتابة من مهنةٍ شاقة " .. تلك هيَ عبارة الشاعر ناظم حكمت..، وهيَ " قبلة الوطن " عندَ الدعيسي..، وأنا أراها الشمس التي يقود ضوؤها إليه:

" ليــسَت غيمة ماطرة بلْ قبلة لوطنٍ.. حينما يستديرُ بها الفمُ للعناقِ تصبحُ قمرًا " – ص43 .

" ذاكــرة صحفي " .. للكاتب ناصر الدعيسي فصلٌ من أدب الــرحلات الــرائع .. مواقــف .. وذكريات .. وعلاقات صــباحية .. وحــالات عشق .. أصدقاء .. ومدن .. سماء من كريستال .. أراض من عسل .. جبال من المودة ..

وحدةٌ.. وغربةٌ ممغنطة بأحاسيس فياضة.. دواؤها الشافي الكلمــات..، الكــتابة حــينَ تــصبحُ مرضًا.. وقدرًا.. وذاتًا.. ومــصيرًا..، وقــراءة هـــي الحلم المتلو بيقظة..، وعشق وهو شريان الحياة.. !!

" ذاكــرة صــحفي ".. مشاهدات.. وأحلام.. وانتماءات جــسدتها شــرايين الكاتــب المبدع..، وخطتها أصابع احترفت

الجـــنون .. وجـــادت بهـــا قريحة صقلتها مفارقات الأسفار.. ورطوبة الموانيء.. وأصوات القطارات.. وحميمية الأصدقاء.. وأسماء النساء.. وبرودة وجفوة المدن ..!!

ناصر الدعيسي.. في كتابه هذا صحفيّ بارع.. ومصور ماهـــر..، اللقطـــة تـــستقر في رأسهِ كطعمِ الرغيف.. وحرارة الحب.. ودفـء العلاقات.. !!

كاتبٌ مبدعٌ وهو يتذكرُ..، وشاعرٌ وهو يعشقُ..، وينتمي .. ويشتاق حتّى البكاء .. والنزفِ .. والاحتراق !!

" منابتُ الريحِ "...

كتابُ الوفاءِ !!

1- لقائـــي بالأديب والكاتب الرّاحل "خليفة الفاخري" كان متعدّدًا وطويلاً، جسره الصلب الاحترامُ المتبادلُ، والإبداع الجاد، والتواصل والحوار من أجل الكلمة الصَّادقة .

أمّا أول لقاء لي بالكاتب " محمد عقيلة العمامي " كان في مأتم المرحوم الأديب الكبير - خليفة الفاخري، وحركتهُ وحماسةُ الدائـــبان جعلاني أطنّ أنّه أحد أخوةِ الفاخري، وإذا به أكثر من ذلـــك وقد عرفت أيضًا أنه كاتب مهم في البحر، والصّيد، وعالم الأســـماك الـــرائع . وأعتقد أنَّ جنونه في البحر وزرقة الموجة منحاه هذه الحركة التي حولتها الكلمات إلى نغم، وإيقاع، وأناس وعـــوالم وأحداث في قصّصه وروواياته الجميلة، التي تفضل - مشكورًا بإهدائها لي بقلب نابض بالإبداع والدفـء والمحبّة .

2- كتابةُ " منابت الرّيح "[(1)] سيرة الراحل خليفة الفاخري صفحات بحروف فسفورية وأرادَ بها توثيق المحطات المضيئة في حياة صديق عمره، الرّاحل الكبير، وبصدق وحميمية كبيرين تعـــدى ذلك إلى الإصغاء الدفيء لإيقاع حياته المليئة بالإبداع،

---

(1) مـــنابت الريح، سيرة الراحل خليفة الفاخري الأدبية، محمّد عقيلة العمامي، شركة الأنيس للطباعة والنشر، مصراتة، ليبيا 2002م .

والمواقــف الإنسانية، والعذابات، والجراح، والعلاقات النَّهارية، والــصرخات الجــريئة، هــو أرادَ أنْ يؤرخَ للحظةِ إبداعية في حياته، فوجد الكاتب الصَّديق " محمّد العمامي" نفسه الحائرة أمام أديــب لــهُ ثقلــه الإبداعي، والحياتي، والإنساني، وجاء الكتاب غزيــرًا، ثريًا، شيّقًا، ومؤثرًا، وهامًا لدارسي الأدب لأنَه لم يترك صغيرة ولا كبيرة في حياة الرّاحل إلاّ وذكرها وأضاف لها شيئًا مــن حرقةِ الرّوح، وحرارة الأصابع، وعسل الوجدان، وصدق اللحظة، ودفء علاقته بصديقهِ المبدع " سوف أتناول كُلَّ ما لهُ علاقــة بإبداعك الأدبيّ، وكُلّ ما يبرز خلق الأديب الحقّ، الذي يجعــل مبادئه وسلوكه وأخلاقه متناغمة مع ما يقدّمهُ للنّاس من فكرٍ، وإبداعٍ جميل.." – ص 27

3– كــتابُ "منابت الرّيح " لمحمّد عقيلة العمامي إضافة هامــة للمكتــبة الليبــيّة والعربيّة أيضًا، ومعين لدراسي الأدب والمهتمين في الفنّ القصصي، وسبر أغوار حياة الأدباء والكتَّاب الصَّادقين الَّذين تعاملوا مع الحرف حتَّى الهوس والجنون، أمثال القاص خليفة الفاخري الذي عاش حياته بكل تفاصيلها، ودقائقها ككاتــب، ومبدع، وإنسان شديد الانحياز للكلمة الجادّة والصادقة شغله الحرف المُقلِق فأضاء أعماق روحه، وسرقته الكلمة وهُو

يمنحها حياته حتَّى النبض الأخير، ثمرة هذه الألفة تلك القصّص الجميلة، التي أسسّت لأسلوب وطريقة ولون مُميّز في القصّص الليبي، لها تأثيرها الواضح على جيلٍ من الكتَّاب والمبدعين .

كتاب (منابت الرّيح) جهدٌ كبير، وإبداع آخرُ يستحقُ إصـــغاءة هادئـــة، ووقفة طويلة، يُسجّل بحفاوة تقدير للأديب محمّـــد عقيلة العمامي، وهو بحق كتاب الوفاء وفاء للحرفِ، وللكلمـــة المثيـــرة التي تعملُ عملَ عودِ الثقابِ في الغابة – بتعبيـــر نزار قبّاني، ووفاء للإنسان المبدع الذي عاشَ عذاب الكلمـــة، وقلقِهـــا، وســـهرها، وجراحها، ثمرتها تلك المدن – المـــضيئة – المقالات والقصص التي جسَّدت هموم وعشق، وعذابات الإنسان الليبي والعربي ..!!

4- كتابُ " منابت الرّيح " في ثلاثة فصول :

(1) السيرة .

(2) أعمال لم تُوثّق ولم تُنشر .

(3) المخطوطات والصور والرّسائل .

فـــي الحـــديث عن سيرة الفاخري الأدبية، يُبرزُ الكاتب محمّد العمامي تلك الذاكرة الصَّافية، اللاقطة والمختزنة للرّاحل،

والتي لا تختلف عن ذاكرته هو الممغنطة بإيقاع الوفاء لهُ، وهو يوردُ تفاصيل حياته : " أنَّ الله قدْ وهبك ذاكرة خارقة استطعت بها أن تحفظ عن ظهر قلب أكثر من نصف القرآن، وعددًا هائلاً مــن قــصائد متنوعة، ودواوين لأشعارٍ عديدة كثيرًا ما ألقيتها كاملةً في سهرةٍ واحدة " ص 19 .

مُعتــرفًا أيضًا أنَّهُ ينحوُ في كتابهِ منحى " هوتشنر " وهُو يكــتبُ عــن صديق عمره " همنجواي " في كتابهِ الرّائع " بابا هنجواي " لكنْ صديقنا العمامي قّدْ أوعدَ صديقهُ الرّاحل، وراهنَ على أنّه سيكون أصدقَ، وأدقَّ، وأكثر حميمية من " هوتشنر".

وقَــدْ أجمــع الكاتــبُ العمامـــي ومعَهُ أصدقاء الرّاحل المتابعون لحياتهِ وإبداعه أنَّ (الفاخري) أرادَ أنْ يكون صورةً لهمنجواي، إبداعًا، وسلوكًا، وأخلاقًا وفنًا، وها هو صديقه محمّد البعباع يؤكدّ من خلال حديثه على تأثر الفاخري بالأديب العالم " أرنـــست همـــنجواي " والّـــذي تحوّل إعجابه بهِ إلى سلوك، وطــريقة، وأســلوب حياة وكتابة معًا: " إنَّه استمرَ فترةً طويلةً مستخدمًا أدواته الجمالية في كتاباتهِ . "- ص 35 .

وتأكيدا لما أورده العمامي وصديقه الأستاذ محمد البعباع أقول، ومن خلال معرفتي وعلاقتي بالقاص خليفة الفاخري إنه

كـــان ينظر لإبداعات الكثيرين من الكتاب القصصية والروائية من خلال هذا المستوى، وربما كان يقارن بينهما وبين إبداعات عمالقـــة الأدب القصصّي والروائي مع همنجواي، دوستوفسكي، فوكنـــر، بـــريخت، كامـــو، وكافكا وغيرهم من الكتاب العرب، والطريق والممتع في حياة الفاخري وضوحه اللاّذع، وصراحته المـــوجعة والموضوعية أيضا، حيث يعرض عليه أحد قصة أو رواية، ولم تعجبه وحين يتأكد أنها رديئة، ينصحه بأن يبحث عن حرفة أخرى غير الكتابة ..!!

5- فـــي " ســنوات التكوين " يذكر الكاتب محمّد العمامي أن الـــراحل كـــان مهووسا في قراءاته الأولى، فقد التهم كل الكتب في المراكـــز الثقافية ببنغازي، أما علاقته بالأديب الكبير الصادق النيهوم فقـــد كان لها الأثر القوي في حياته وتكوينه الثقافي : " إن الصادق النيهوم هو من فتح عيون الفاخري على الآداب الغربية المترجمة "- ص 51 وقـــد اعتـــرف النيهوم بالموهبة الكبيرة التي كان يتمتع بها خلـــيفة الفاخري : " وأنت يا صديقي موهبة كبيرة" رسالة الصادق للفاخري- ص67 وشعر الصادق أيضا بأن هذه الموهبة تكاد تكون مهـــدورة، ولم تصنعِ الدويّ والصخب المنتظر منها " وكنت أعرف آلامك وأعرف مدى تمزقك عبر ذلك الفراغ والملل .."- ص67 .

ولـــن يفــوت العمامي أبدا أن يكشف شفافية تلك العلاقة التـــي كـــان لها طعمها وقدسيتها بين النيهوم والفاخري وكأنها إيقـــاع حـــياتهما معًـــا قائلا : " لقد رأيت خليفة الفاخري يبكي صادق كما لم أره يبكي أحدا من قبل .."ـ ص68

6ـ وعن أدوات الفاخري الفنية والجمالية : يؤكد الكاتب محمد العمامي على " ارتباطه بهمنجواي والبياتي معًا " فقد كانا لهمـــا عمق الأثر في حياته، وأسلوبه، وأدواته الجمالية في كتابة المقـــال والقـــصة . ثـــم " أبطـــال قصصه واقعيون " يعرفهم ويعايشهم، وكانت تربطه بهم علاقات قوية .

وكذلك " قول الحق " أحد أدواته الفنية مقتديا بمثله الأعلى فـــي الكـــتابة ـ كما يذكر العمامي ـ بهمنجواي : " فهمنجواي يرى أن مهمة الأديب أن يقول الحق "ـ ص 105 .

وكـــذلك الشاعر الكبير الراحل عبد الوهاب البياتي الذي كانت تربطه علاقة بالأديب الفاخري، فقد كان لها الأثر العميق أيضا، لما فيه من صدق، ودفـء، وغربة، وأمل، ويذكر الصديق العمامـــي في كتابه إنه من أهم المبدعين العرب الذين تأثر بهم خلـــيفة الفاخري، هي ـ ببساطة ـ علاقة شعرية دافئة وإنسانية إلى أبعد الحدود .

يقول العمامي: "إن تأثره بالبياتي يظل هو الأقوى" ـ ص154.

ويقــول الفاخري " إنني أدين له بالفضل، فلقد كان دائما يحــاول، توجيهــي، وكنت أحرص على أن يقرأ مقالاتي ليبدي ملاحظاته "ـ ص155 .

ويقول البياتي في رسالة إلى الفاخري من القاهرة " تلقيت كل ما أرسلته لي من إنتاجك الجديد وأنا مسرور للأبعاد الجديدة التي وصلت إليها كتابتك " ص157 .

7- وعــن " مقالات الفاخري " التي ضمتها كتبه " غربة النهر " أو " بيع الريح للمراكب " وغيرها، فإن العمامي يكشف بدقة وصدق المتابع أن تلك المقالات كانت أصلا رسائل لأخوته وأصدقائه " إن أفكار وأحداث مقالات الفاخري يكتبها غالبا في ذهنه أو لأصدقائه قبل أن ينشرها " ـ ص 200 .

أمــا كــتابه " موسم الحكايات " فهو أسلوب متميز في الكتابة والإبداع الليبي، ولا أبالغ إذا قلت إنه أثر في كتاب القصة الجــيل الذي تلا الفاخري، ولأن هذا الكتاب علامة في الإبداع الليبــي لابــد لدارس القصة من الرجوع إليه، أنا شخصيا حين اســتقرت بــي قدماي في بنغازي وتوطدت علاقاتي مع أدبائها

كادت تقتلع أذني الأحاديث والحكايات عن هذا الكتاب . " موسم الحكايـــات مـــزيج جديد رائع ابتكره الفاخري للكاتبة في الأدب العربي "– ص 232 .

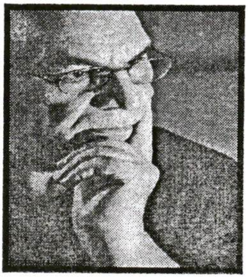
إما فصل رسائل الفاخري إلى أخوته وأصدقائه القريبين جدا منه.. فهو إبداع برع فيه الكاتب محمد العمامي وهو ينقله، ويعلـــق علـــيه، ويـــضفي علـــيه هذا القدر الكبير من الشفافية والحميمـــية، هو من أكثر فصول الكتاب إبداعًا، وتأثيرًا وعمقًا، وشاعرية يوردها الصديق العمامي متوجًا ببراعة الاختيار ودقته لمـــا للرسائل من أهمية ووقع في نفسه هو قبل الآخر، والحقيقة إننـــي كقـــارئ للكـــتاب قد تأثرت كثيرًا.. بل اختنقت كثيرًا..، واستحضرت شخصية الفاخري الإنسانية الرّائعة.. ولأنها كشفت لـــي جـــوانب إنـــسانية جارحة في حياة صديقنا الراحل فإنني اعتبرها أدبًا، وإبداعًا راقيًا، ربما يفوق كل ما كتبه الفاخري في حـــياته، وللكاتب والأديب محمد العمامي الفضل في كشف هذا الجانب الهام للأدباء.. والأصدقاء.. والدارسين أيضًا ..

يقـــول العمامـــي بعـــد رحيل صديق العمر : " وبسبب الحـــزن الـــذي قهرنـــي عقـــب أيام رحيله الأولى رأيت نفسي منسحقًا.. عاجزا عجزَ الأسير " – ص304 .

فــــي " مـــنابت الـــريح " الكثير مما يقرأ ويفيد، ويوقظ والكثير مما يستحق وقفة ودراسة، وإنني أدعو إلى قراءته لأنه وثيقة هامة، وإضافة رائعة لكتب السيرة الأدبية في ثقافتنا وأدبنا المهددين بالاندثار ..؟

2003 ف .

الفهرس



السيرة الذاتية للكاتب

* عذاب الركابي، كاتب وشاعر، العراق 1950م.

ـ صدرَ لهُ من الدواوين الشعريّة :

1. تساؤلات على خارطة لا تسقطُ فيها الأمطار، 1979، طرابلس.
2. من طموحاتِ عنترةَ العبسي، 1982، طرابلس
3. قولي.. كيفَ نَما شجرُ الأحزان ؟، 1992، تونس
4. أقولُ.. وأعني الحُلمَ، ط1 تونس، 1998، ط2 القاهرة، 2000.
5. ما يقولهُ الربيع، تجربة في الهايكو العربي، 2005، القاهرة .
6. هذهِ المرأةُ لي،2006، دار البيان، بنغازي.

ـ صدرَ من الدراساتِ النقدية :

8. صــلواتُ العاشــقِ السومري، دراسة في شعر البياتي، 1997، عمّان.

9. بــوّابات هادئة، رؤية نقدية في الشعر والقصّة والرواية العربية، 2000 طرابلس.

10. عبد الرحمن الربيعي.. وأسئلة الزمن الصعب، دراسة وشهادات هامة، 2004، تونس.

11. الفــنان محمــد إســتيتة.. لغة اللون لغة الحياة، كتيب تذكاري، 2005، بنغازي.

12. كيمياء الكتابة، مقالات، 2006 طرابلس.

ـ قيد النشر :

* الفوضى الجميلة، نصوص 2003.

* هذا الخرابُ لي، نصوص، 2004.

* دموع ومبدعون، تأمُلات في الإبداع العربي، دراسات، 2005.

* قصائد سومريّة، مختارات شعرية، 2006.

* وطن للإهداء، مقالات سياسية، 2006.

. محرّر في مجلة، الثقافة العربية، ليبيا.

. يكـــتبُ يومياته الثقافية في العديد من الصحفِ والمجلات العربية المحلية والمهاجرة .

. شـــاركَ فـــي العديـــد من المؤتمرات الأدبية والندوات الثقافيّة العربيّة.

. كُتِـــبتْ عـــنهُ العديـــد مـــن الدراسات النقديّة في الصحفِ والمجلات العربيّة .

. عضو اتحاد كتّاب الإنترنت العرب .

. البريد الإلكتروني athabalrekabi22@yahoo.com

. عــذاب الركابــي ..ليسَ شاعرًا فقط، بلْ هو " ناقدٌ قارئ " و"قارئ ناقد " ما أنْ يحسّ بكتابٍ قرأهُ سواء كانَ روايةً أوْ مجموعةً شــعرية أوْ قصصية إلاّ وأمسكَ بقلمهِ، وراحَ يكتبُ عنه، وفي كتابتهِ يتــشكلُ نــصٌ على نصّ، ويحصلُ التمازجُ الجميلُ ما بينَ الكاتبِ والمكــتوبِ عــنهُ.. بينَ النصّ المنقود والنصّ الناقد.. وحالةٌ كهذهِ نــادرًا مــا نجدها في كتاباتِ هذهِ الأيامِ حيثُ تطغى رطانات نقديّة عــصيّة علــى الفهــمِ.. لا أستطيعُ أنْ أجزّيء عذاب الركابي، فهوَ شاعرٌ في شعرهِ، وشاعرٌ في نقدهِ ..!!

عبد الرحمن مجيد الربيعي - روائي

تونس في 2003/6/20م .

. عذاب الركابي.. في كتاباتهِ عن الآخرين، ووقوفه على أعمــالهم، لا تجــدُ كلامًا أو سردًا تقليديًا بسننٍ ومقاييس الكتابةِ النقديّة المجهزة مسبقًا، إنّهُ يقولُ في كلّ عملٍ يتناولهُ ما في نفسهِ مــن تعاطــفٍ ولقاءٍ معَ هذا الأداء إنْ كانَ هذا الأداءُ يُعبّرُ عن

مــصداقية حـــادة اتجـــاه الواقعِ، واتجاه الحياةِ بكلّ ما فيها من سلبياتٍ وتطلعاتٍ.. !!

حسين مخلوف – قاص وناقد

مجلة – الثقافة العربيّة – عدد فبراير1999

. عــذاب الركابـــي.. يا لقلقكَ الحنون..، ويا لكلماتكَ الرائعة والكبيـــرة عـــن كتابـــي " نشيد أورك "..، إنّ هذهِ الكلماتِ.. وهذهِ المشاعر تعوضني عن كلّ ما عانيتهُ.. وخسرتهُ في حياتي هناك !!

عدنان الصّائغ – شاعر

من رسالةٍ إلى الكاتب في 1997/3/30م.

السويد – مالمو

. عــذاب الركابي.. جاءتني كلماتك من هناكَ رقيقةً حارةً.. أنتَ تغازلُ القصائدَ أبدًا في غفلةٍ عن هذا العالمِ المريض !!

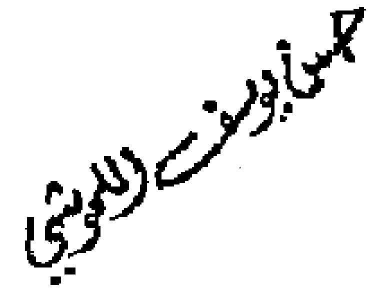
د. عبد الرحمن بوعلي – شاعر وناقد

المغرب في 1994/10/30م .

. إنّ أسـلوبك الـشعريّ والنثـريّ جميلٌ ودقيقٌ ومُعبّرٌ ومُؤثّر.. وحضورك فيه الإنسانيّ والشعريّ واضحٌ ..!!

عبد الوهاب البياتي - شاعر

من رسالةٍ إلى الكاتب عام 1995م- عمّان



تنفيذ الطباعة والتجهيزات الطباعية

دار قباء الحديثة

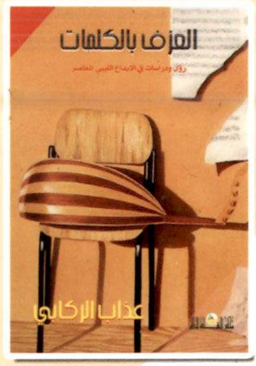
للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

جمهورية مصر العربية

16 عمارات العبور - شارع صلاح سالم - مدينة نصر

تليفاكس 02/22621365 - محمول 0123140315

E-mail : modern_qubaa@hotmail.com



يقدّم مجلس الثقافة العام للقارئ الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة ، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً ، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام